

## (ثلاثونَ درّساً في رمضان)

بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله الذي جعل الدعوة إلى الله من أشرف الأعمال ، والكلمة الطيبة من أجلّ الخصال ، وجعل شهر رمضان موسم الخير والبركات ، وظرف الأجور والفضل والحسنات ، أحمدته سبحانه وهو المحمود بكل لسان ، المعبود بالجوارح والجنان ، وأصلي وأسلم على الطاهر الزكيّ سيّد ولد عدنان ، محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد : فلقد منّ الله عليّ بإقامة دروس في شهر رمضان منذ سنوات عدّة في مسجد " الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما " بشمال الغبرة من ولاية بوشهر بمحافظة مسقط ، وهو الحيّ الذي أقيم فيه منذ عشرين عاما .

ونظرا لما تتوق إليه نفسي من أجر ، وما أتوقّع من رغبة في كثير من الناس أن يطلّعوا على هذه الدروس بالنشر ، رأيت صياغتها بقالب أرجو أن أكون موفقا فيه وهي تعين الواعظ والخطيب في دروسه المسجدية ، وربّ البيت في جلساته الأسرية.

فدونكها أيّها القارئ معضّدة بأدلة قرآنية وأحاديث نبوية وشواهد نظمية . ولا يفوتني أن أزجي الشكر خالصا لأستاذي الشيخ العلامة مربّي الأجيال الصالحة حمود بن حميد الصوّافي على اهتمامه وعنايته بقراءة هذا الكتاب وإبداء ملاحظاته القيّمة ، بارك الله في عمره ونفع به .

أسأل الله التوفيق والسداد واتباع منهج الرشاد قولاً وعملاً ونيّة.  
" إِنَّ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "

د. عبد الله بن راشد بن عزيز السيّاني

نائب رئيس المحكمة العليا

سلطنة عمان

رمضان ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

الدرس الأول

استقبال رمضان

الحمد لله الذي جعل رمضان سيّد الشهور ، وضاعف فيه الحسنات والأجور ،  
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وهداية ونورا للمتقين ، محمد وعلى  
آله وصحابه الغرّ الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

فيا أيها الإخوة المؤمنون ويا أيتها الأخوات المؤمنات ، السلام عليكم ورحمة الله  
وبركاته ، وأهنتوكم بمقدم هذا الشهر المبارك الميمون ، وهذا الموسم العظيم ، الذي  
ترفع فيه الدرجات ، وتحطّ السيئات ، وتغفر الذنوب ، وتمحى الخطايا والحووب ،  
شهر يتسابق فيه المؤمنون إلى الخيرات ، ويتنافسون إلى الله بالقربات ، ويعمرون  
بيوتهم ومساجدهم بذكر الله وقراءة القرآن وإقامة الصلوات ، ويواسون الفقراء  
والمساكين ، والضعفاء والمحتاجين ، ويصلون الأرحام والجوار ، ويأتون الخير من  
أوسع أبوابه ، ويلجئون إلى المعروف والإحسان برجل ساعية ، ويد منفقة حانية .  
شهر عظيم مبارك ، أنواره لامعة ساطعة ، وخيراته شاملة جامعة .

|                             |                                 |
|-----------------------------|---------------------------------|
| شهر تحاياہ تکبیر وتهلیل     | بدا علیه من الأنوار إکلیل       |
| له بكل بقاع الأرض تبجیل     | شهر علیه من الإجلال روعته       |
| أنواره زهقت منه الأباطیل    | شهر الهدی والتقى والصوم حين بدت |
| والتوب فيه من العاصین مقبول | شهر تفتح أبواب النعیم به        |
| ولیس بعد کلام الله تفضیل    | الله عظمه قدرا وفضله            |

روى سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: " يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليلة تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ، قالوا : يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم ، فقال ﷺ : "يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمر ، أو على شربة ماء ، أو مذقة لبن ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، واستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لاغناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم ، فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه ، وأما الخصلتان اللتان لاغناء بكم عنهما ، فتسألونه الجنة وتعودون به من النار "

( رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن حبان )

خطبة عظيمة ، في كلمات موجزة بليغة ، تحمل في طياتها معاني سامية ، ودلائل خير كثير .

فيها بيان فضل هذا الشهر المبارك ، وما يحمله من مزايا وخصال ، وأجر وثواب لمن حرص على مواطن الخير فيه ، وتتبعها وتحلى بها ، فهي منتشرة في كل أيامه ولياليه ، تتنوع جوائرها بين الرحمة والمغفرة والعتق من النار ، وذلك أغلى ما ينشده المؤمن من عبادته وطاعته وتقربه إلى المولى عز وجل ، إنه الدخول في رحمة الله ، والفرار من عقوبته وغضبه ، والعياذ بالله.

## أيُّها المؤمنون والمؤمنات :

يقول الحبيب ﷺ : " أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحطّ الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه إلى تنافسكم في الخير ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقيّ من حُرِم فيه رحمة الله " .  
لقد تعدّدت استقبالات الناس لشهر رمضان على حسب أهوائهم ومشاربهم ووقع الشهر على قلوبهم ونفوسهم :

١. صنف استقبلوه بالفرحة والاستبشار والبهجة والإزدهار، لأنهم عرفوا قدره ، ودروا منزلته ، فكان لسان حالهم :

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| يا حبيبا زارنا في كل عام   | مرحبا أهلا وسهلا بالصيام |
| كلّ حبّ في سوى المولى حرام | قد لقيناك بحبّ مفعّم     |
| ثم زدنا من عطايك الجسام    | فاقبل اللهم ربي صومنا    |
| قلق أسهرنا جنح الظلام      | لا تعاقبنا فقد عاقبنا    |

فهم عودوا أنفسهم على الصيام ، ووطنوها على تحمّله ، وهم يعلمون أنّ الامتناع عن اللذات في الدنيا الزائلة سبب لنيلها والاستمتاع بها في الأخرى الباقية ، وهم يدرون أنّ هذا الشهر موسم للطاعات ، والتنافس في الخيرات والقربات .

٢- صنف يصومونه عادة لا عبادة ، يتظاهرون به بين أسرهم وجيرانهم ومن حولهم ، ويستثقلونه ويتمنون زواله ، ولسان حالهم يقول :

دعاني شهر الصوم لا كان من شهر  
ولا صُمتُ شهرا بعده آخر العمر  
ولو كان يعديني الأنام بقوة  
على الشهر لا ستعديتُ قومي على الشهر

٣- صنف ليس له في نفوسهم مكانة ، ولا في قلوبهم منزلة ، ولا في جوارحهم عمل ، ينتهكون حرمة ، ويستبيحون عظمته ، ويأكلون نهاره ، ويهتكون ليله ، أولئك شرّ الأنام ، وهم العصاة البائسون الطغام .

ألا فليبادر المؤمن إلى نفحات الله ، ومحطّات الخير ، ومواطن الحسنى ، وليجعل من هذا الشهر العظيم زادا له على أيام دهره ، فإن المحروم من حرم الخير في هذا الشهر .

جعلني الله وإياكم من المقبولين عنده ، المرفوعة درجاتهم ، المعفوة خطاياهم وسيئاتهم .

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

## الدرس الثاني

### " بعض أحكام الصيام "

١

الحمد لله الذي جعل صيام شهر رمضان فريضة ، وقيام ليلة تطوعاً ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ، محمد وعلى آله وصحابه الغر الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فيقول المولى تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (١).

الصوم فريضة على هذه الأمة وعلى الأمم السابقة ، وهو ركن من أركان الدين ، ودعامة من دعائمه ، لا يجوز التهاون به ، أو التفريط فيه ، وهو سهل لمن وفقه الله إليه ، ومحبوب لمن تعلق بحب الله وحبّ رضاه .

---

( ١ ) سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

يتحقق الصيام بدخول شهره رؤية للهلال أو حساباً فلكياً عند من يرى من علماء الشريعة ذلك .

قال تعالى : " فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ " ، والشهادة لدخول الشهر تكفي من رجل ثقة في دينه ، على أن تكون الشهادة لا يردّها الواقع ، أما الخروج منه فلا بدّ من نصاب كامل ، رجلان أو رجل وامرأتان ، أو شهادة شهرة من ثلاثة فما فوق من أهل التوحيد .

روى ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : إني رأيت الهلال ، يعني رمضان ، فقال : " أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : يا بلال أذن في الناس فليصوموا غداً " .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : " تراءى الناس الهلال فأخبرت النبي ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه " .

فإن لم ير الهلال فلا بدّ من إتمام الثلاثين يوماً من شعبان لقوله ﷺ : " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غمّي عليكم الشهر فعدّوا ثلاثين " .

فإذا ثبت دخول الشهر فلينبو المسلم بقلبه أنه سيصبح صائماً ، وإذا أكد النية بلسانه فلا بأس من ذلك ، والنية شرط لصحة الصيام ولكل عبادة غير معقولة المعنى ، قال تعالى : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " (١) ، وفي الحديث الشريف : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى " .

والصوم يبدأ من طلوع الفجر وينتهي بغروب الشمس ، ولا يصح أن يأكل أو يشرب من سمع أذان الفجر إذا كان المؤذن يؤذّن بتوقيت صحيح ، وكذلك لا يمنع

---

( ١ ) سورة البينة ، آية ٥ .

الصائم من الأكل أو الشرب وقت أذان المغرب إذا تحقّق الغروب ، خلافا لما عليه عوامّ الناس.

قال تعالى : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ " (١) ، وفي الحديث الشريف: " إذا أقبل الليل من ها هنا - يعني المشرق - وأدبر النهار من ها هنا - يعني المغرب - وغربت الشمس فقد أفطر الصائم أكل أو لم يأكل " ، ومن صام خارج بلده بدخول للشهر متيقّن منه ثم عاد إلى بلده وقد صام الناس هنا بعده فإذا أكمل الثلاثين يوما فليفطر ، إذ لا زيادة عليه فوق ذلك .

وتختلف الأهلة باختلاف المطالع ، فلكل قوم هلالهم ، للحديث الذي رواه مسلم وجماعة عن كريب مولى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : أرسلتني أم الفضل بنت الحارث والدة عبد الله بن عباس إلى معاوية بالشام ، فاستهلّ عليّ هلال رمضان وأنا بالشام ، فلمّا قضيت حاجتها ورجعت سألتني ابن عباس فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت : رأيناه ليلة الجمعة ، فقال : أنت رأيته ؟ فقلت : نعم ، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية ، فقال : ولكن رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل الثلاثين يوماً أو نرى الهلال ، فقلت : أو ما تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ .

ومن أفطر في سفره ورجع إلى وطنه قبل غروب الشمس فله مواصلة الإفطار ، وكذلك إذا طهرت المرأة من حيض أو نفاس قبل أن تغرب الشمس .

وليُجْتَنَّب الصائم المعاصي القولية والفعلية فإنها ناقضة لصيامه لقوله ﷺ: " الغيبة تفطر الصائم وتنقض الوضوء " ، وقاس العلماء سائر المعاصي عليها في نقض الصيام ."

وليُجْتَنَّب كل ما يدخل جوفه عن طريق الفم أو القنوات الموصّلة للجوف .  
ولا بأس بإبرة العلاج كالسُّكَّر وغيره ، أما السَّقَاية فلا ، وكل دواء يستعمل طلاء لا بأس به ، وجائز خلع الأسنان في نهار رمضان ، إذ لا يضرُّ ما خرج من دم من فم الإنسان أو بقية جسمه.

والقيئى لا ينقض الصيام ما لم يكن متعمّدا وبلُع البزاق مرخّص فيه ، ولا يتعمّد بلع النخام ، فإن تعمّد ذلك أعاد يومه .

والسواك مباح في نهار رمضان ، وإذا تسوّك بمعجون فليحذر أن يبلع منه شيئا .  
والكحل والعطر مباح للصائم ، وإذا تبخّر فليكن على حذر من أن يدخل شيء منه في حلقه .

ومن أصبح جنبا من مباشرة أو احتلام فليعد ذلك اليوم ، لحديث : " من أصبح جنبا أصبح مفطراً " .

والحامل الخائف من الإسقاط ، والمرضعات الخائفات على أولادهن فإنهن يأكلن ويطعمن لكل يوم مسكينا ، فإذا أمّن قضيّن ما أكلنه .

والمرضى والمسافرون والحائض والنفساء وكلّ من له عذر في الإفطار إذا ضيّعوا لما وجب عليهم من القضاء حتى يدخل عليهم رمضان الثاني ، فإنهم يصومون الحاضر ويطعمون عن كل يوم أكلوه من الماضي مسكينا غداء وعشاء ، فإذا انسلخ الحاضر صاموا الأيام التي أطعموا عنها المساكين ، ولا يكون إلاطعام إلا على من ضيّع

القضاء ، وأما إن لم يضيع ودام عليه المرض أو السفر أو العذر الذي أفطر لأجله حتى دخل عليه رمضان آخر فليس عليه الإطعام ، ولكن عليه القضاء بعد انسلاخ الحاضر .

والذي عليه الكفارة دون القضاء فهم ثلاثة : الرجل الكبير الهرم الذي لا يقدر على الصوم ، والمرأة العجوز التي لا تقدر على الصوم أيضا ، والثالث المريض الذي لا يُرجى بُرؤه ولا يقدر على الصوم .

والذي لا قضاء عليه ولا كفارة فهم المجانين الذين أصيبوا بالجنون قبل رمضان ، ولم يفيقوا من جنونهم حتى خرج رمضان ، فهؤلاء غير مكلفين بما فاتهم من الصوم والصلاة .

تقبل الله من الجميع الصيام والقيام وصالحات الأعمال .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## الدرس الثالث

### " بعض أحكام الصيام "

٢

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
ومن والاه وبعد :

فإن الصيام فريضة على كل مسلم بالغ عاقل قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ <sup>(١)</sup> " ، ويقول  
الله تعالى : " فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ <sup>(٢)</sup> " .

فمن رأى الهلال بنفسه لزمه الصوم والإفطار ، ولكل قوم هلالهم كما ثبت في  
السنة وذلك حينما تختلف المطالع والمغرب ولا يمكن الاشتراك فيها .  
والمسافر مخير بين الفطر والصوم ، والأفضل مراعاة الأحوال ، فإن كانت تصيبه  
مشقة من الصوم فالفطر أفضل له ، والعكس كذلك ، قال تعالى : " يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ  
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ <sup>(٣)</sup> " .

ومفطرات الصيام منها :

---

١ ( سورة البقرة ، آية ١٨٣ .  
٢ ( سورة البقرة ، آية ١٨٥ .  
٣ ( سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

الجماع وخروج المني باختيار بتقيل أو لمس أو استمناء ، فمن فعل ذلك فعليه قضاء يومه والكفارة ، والاحتلام في نهار رمضان لا ينقض الصيام ، بشرط أن يياشر الغسل ولا يتباطئ فيه ، ومن أصبح جنباً من جماع أو احتلام فعليه قضاء يومه ، والمذي والودي لا ينقضان الصيام .

والحيض والنفاس من مفطرات الصيام ، وإذا طهرت المرأة في نهار رمضان فلها ما أبيح للمفطر من طعام وشراب وغير ذلك .

ويحرم الأكل والشرب ولو دخل في جوفه ما ليس مطعوماً أو مشروباً على قول الجمهور ، ولا يعتمد بلع النخام ، سواء كان خرج من الرأس أم الصدر ، فإن تعمد ذلك أعاد يومه وبلغ البزاق لا ينقض الصيام .

ومن اضطرَّ لاستعمال البخاخ العاديٍّ لمرض الربو في نهار رمضان فلا شيء عليه ، لكن هناك أنواع من الأجهزة لهذا المرض ، بعضها تضحُّ موادًّا كثيفة من الماء والأدوية ، فهذا يحتاج النظر فيها .

والقيء لا ينقض الصيام إلا إذا تعمد في إخراجه لحديث : " مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَا قِضَاءَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ الْقِضَاءُ " .

والتحاميل إن كانت من القُبُل لا بأس بها ، وما كان من الدُّبُر فإنها ناقضة على قول أكثر أهل العلم .

والسَّقَاية ناقضة للصيام ، وإبرة التغذية كذلك ، ولا بأس بفحص الدم في نهار رمضان ، وكذلك خلع الأسنان جائز والتبرُّع بالدم ، وكذلك إن خرج الدم بنفسه من أنف أو فَم ، ومن عليه غسيل كُلِّى ويتعبه الصوم فليفطر وليقض .

واختلف العلماء في المعاصي هل هي ناقضة للصيام أم لا ؟

فقيل إنها ناقضة للصيام كالكذب والغيبة والنميمة والغش والخداع والنصب والاحتيال والسرقة ، قال تعالى : " إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (١) " .  
وفي الحديث الشريف : " الغيبة تفطر الصائم وتنقض الوضوء " .  
وتقاس باقي المعاصي عليها ، بناء على هذا القول .

والسواك في نهار رمضان جائز بمعجون وغيره ، ولا ينقض الصيام الرعاف .  
ويجوز تذوق الطعام لطابعه مع عدم إساغته ، وكذلك الطيب والبخور واستعمال المراهم والمعاجين للجلد الخارجي .  
ومن أساغ ماء في حال الوضوء بغير قصد فلا عليه شيء ، وإن كان لغير وضوء فالأحوط الإعادة .

ويباح الفطر للحامل والمرضع إذا خافت الأولى على جنينها والأخرى على وليدها وليطعمان عن كل يوم مسكينا .

ومن أفطر لعذر فعليه القضاء متتابعا على الصحيح ، وإن تهاون عن القضاء حتى جاء رمضان الثاني فليطعم عن كل يوم مسكينا عن تهاونه وعليه القضاء ، وحبوب منع الحيض في رمضان الأحوط تركه ، لما في حبس دم الحيض من مضرة .

هذه بعض أحكام الصيام فليكن المسلم على بصيرة من دينه ، والله لا يعبد على جهل ، ومن أراد الله به خيرا فقهه في الدين ، جعلني الله وإياكم من المقبولين عنده .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### الدرس الرابع

" فضائل شهر رمضان "

١

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيّد الشهور ، وأجزل فيه المثوبة والأجور ،  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصائم القائم ، وعلى آله وصحبه الهداة  
المهتدين ، ومن تبعهم وترسّم خطاهم إلى يوم الدين وبعد :

فهذا الشهر العظيم المبارك ، جعل الله ﷺ فيه الجوائز والمنح ، لمن دخل فيه  
متسابقاً إلى الطاعات ، ومبادر إلى القربات ، قال ﷺ : " أعطيت أمتي في رمضان  
خمسا لم يعطهنّ نبيّ قبلي " .

فأمّا الأولى : فإنه إذا كان أول ليلة منه نظر الله إلى عباده ، ومن نظر إليه لم يعذبه  
أبدا .

وأمّا الثانية : فإن الملائكة تستغفر لهم .

وأما الثالثة : فإن رائحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما الرابعة : فإن الله يأمر جنته فيقول لها : تزيني لعبادي الصائمين ، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار وكرامتي .

وأما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً ، فإن العمال يعملون فإذا انتهوا من أعمالهم وفوا أجورهم " .

فانظروا رحمكم الله إلى هذه الجوائز العظيمة ، التي لا تنتهي صلاحيتها ، ولا تزال جدتها ، ولا تغيرها الأيام ، لأنها ليست كجوائز الدنيا التي تعرض في وسائل الإعلام للمسابقات الرمضانية وغيرها ، فهذه فرحتها عابرة ، والابتهاج بها محدود ، وتلك قلوب أصحابها بالبشرى عامرة .

**الجائزة الأولى** فيها نظرة رحمة وقرب ومغفرة من الله ﷻ .

**والثانية** فيها استغفار للصائم من الملائكة وهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم صنف مقرب من الحق سبحانه ، فدعائهم مستجاب ، وطلبهم موفى .

**والجائزة الثالثة** هي بيان منزلة أثر تغير الفم من الصوم ، وهو ما ورد في حديث آخر : " لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " . لأن تغير رائحة الفم سببه خلل المعدة من الطعام والشراب ، وهو ناشئ عن عبادة ، فلذا كانت تلك الرائحة محبوبة عند الله ﷻ ، وإن كانت مستقدرة عن الناس ، وهكذا كلما نشأ شيء عن عبادة الله وطاعته فهو محبوب عنده ، انظروا إلى دم الشهيد الذي قاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، ذلك الدم

تكون رائحته يوم القيامة كرائحة المسك ، ولذلك الشهيد يكفن في ثيابه التي قتل فيها بدمائه .

وكذلك الواقف بعرفة وهو أشعث أغبر، يعلوه التراب والدخان في شعره وجسمه وملابس إحرامه يباهي به المولى ﷺ ملائكته فيقول : " انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثا غبرا يطلبون مغفرتي ورحمتي أشهدكم أني قد غفرت لهم " .

**الجائزة الرابعة** هي أن تتزين الجنة بأبهى حللها وأجمل منظرها للقاء الصائمين ، الذين أجهدوا أنفسهم في الدنيا بالصوم لتستريح في الجنة ، حيث النعيم المقيم ، ما تشتهيهِ الأنفس وتلدّ الأعين ، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

**الجائزة الخامسة** هي في آخر ليلة من شهر رمضان ، وفيها الوفاء بالوعد ، والإنجاز للعهد ، واستلام الأجر ، والفرحة بالفطر ، ففي الحديث الشريف : " للصائم فرحتان : عند فطره وعند لقاء ربه " ، يفرح بتوفيق الله له بأداء العبادة ، والإمتثال لأمر الله ، والإبتعاد عن نهيه وزجره ، ويفرح بلقاء الله يوم يوفيه جزاءه ، ويمنحه رضاه ورحمته .

ولذا كان رمضان شفيحاً لصائمه يوم القيامة ، ففي الحديث الشريف : " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة فشفّعني فيه ، ويقول القرآن : أي رب منعته النوم بالليل فشفّعني فيه ، قال : فيشفعان " .

الصيام فيه تحقيق العبودية والاستسلام لله وَعَلَيْكُمْ ، فالصائم يمتنع عن المفطرات بأمر الله ، ويأتيها بأمره ، " قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " .

وممّا زادني شرفاً وتيهاً وكدتُ بأخصي أطأ الثرى  
دخولي تحت قولك " يا عبادي " وأن صيرت أحمد لي نبياً

الصيام يعلمنا الصبر ، والصبر نصف الإيمان ، قال تعالى : " إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ، خالدين فيها لا يبدلون عنها حوْلاً " .

الصوم فيه كبح للنفس عن شهواتها ، وحبس لها عن ملذاتها ، فإذا شبت تمردت وجمحت بصاحبها عن الطريق السليم والصراط المستقيم ، ولهذا أمر النبي ﷺ الشباب بالصوم في حالة عدم استطاعتهم الزواج فقال : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " .

الصوم يذكر الصائم بالآلام الجائعين ، وما أكثرهم في هذه الحياة الدنيا ، فكم من جائع يتضور ، وعار لا يجد ثوباً يستره ، وساكن في العراء لا بيت له يؤويه ، والدول تتسابق في التسلّح وغزو الفضاء ، ينفقون المليارات فيما فيه فناؤهم وشقاؤهم .

قيل لنبي الله يوسف عليه السلام : لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ ، قال : " أخشى أن أنسى الجائع " .

وامتنع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلم يأكل لحما عام الرمادة ، تضامنا مع الجائعين والفقراء .

كل ذلك ممّا يجعل الصائم يحسّ بالآلام الجائعين ، فيتعاطف معهم ويواسيهم بما يستطيع مادّيًا ومعنويًا .

الصوم فيه صحة للجسد، فهو يستفرغ منه المواد الفاسدة ، ويريح المعدة ، ويصفي الدم ، ويطلق عمل القلب ، وبه تشرق الروح ، وتصفو النفس ، قال ﷺ : " صوموا تصحوا " ، وهذا من الطب النبوي الخالد .

قالوا سيتعبك الصيام وأنت في السبعين مُضني

فأجبت بل سيشدّ من عزمي ويحبو القلب أمنا

ذكرًا وصبرًا وامتثالاً للذي أغنى وأقنى

ويمدني روحًا وجسمًا بالقوى معنى ومبنى

رمضان عافية فصمه تبقى لتحيا مطمئنا

إذن فالصوم صحة وعافية ، حيث تستريح المعدة ساعات عديدة عن الطعام والشراب ، وراحتها مطلوبة حتى في الفطر ، فكل شيء بمقدار ، حيث لا إفراط ولا تفريط .

وفي الحديث النبوي الشريف : " بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لأبد آكلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه " .

وعن لقمان الحكيم : " إذا امتلأت المعدة نامت الحكمة ، وخرست الفطنة ، وسكنت الأعضاء عن العبادة " .

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أوّل بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيّها  
الشعب ، فإنّ القوم لمّا شبعوا بطونهم سمّنت أبدانهم ، فضعت قلوبهم ، وجمحت  
شهواتهم .

كلّ هذا ينبئ أن معدة الإنسان محتاجة إلى ضبط فيما يدخل فيها ، وراحة بعض  
الوقت ، لكي لا تثقل فتعجز عن وظيفتها وهذا يتحقق في الصيام .

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### الدرس الخامس

#### " فضائل شهر رمضان "

٢

الحمد لله القائل: " وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ <sup>(١)</sup> " ، فضّل شهر رمضان على  
غيره من الشهور بجليل المزايا ، وأجزل فيه الهبات والعطايا ، والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام البررة ، والتابعين له الخيرة وبعد :

---

( ١ ) سورة القصص ، آية ٦٨ .

فإن شهركم هذا شهر الرحمة والغفران ، والقبول والرضوان ، قال النبي ﷺ : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " .

ويقول : " الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهما إذا اجتنب الكبائر " .

فهذا هو موسم الخير الذي يجب أن نغتنمه بصنوف الطاعة والعبادة ، ففي الحديث الشريف : " إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها " .

الصوم سرّ بين العبد وربّه : " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به ، ترك عبادي شهوته وطعامه من أجلي " فالإنسان يستطيع أن لا يصوم باطناً ، فيأكل ويشرب خفية ، ولكنه إذا صام فهو يحافظ على علاقته برّبّه سرّاً وجهراً ، وبهذا يكون مخلصاً لله .

وفي ذلك دليل على استشعار الصائم اليقيني لاطلاع الله تعالى على سرائره وخفائيه ، وفيه تربية لقوة الإيمان بالله ، وهو يعلم السرّ وأخفى .

وهذا السرّ الإيماني يجري على سائر العبادات كالوضوء والغسل والصلاة وما فيها من أقوال من قراءة وتسييح وتحيات ودعاء ، والسريّة مطلوبة من العبد في كثير من أحواله وقرباته ، يقول تعالى في سريّة الذكر : " ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١) " .

وفي سريّة الصدقة يقول النبي ﷺ في حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله : " ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه " ، كل ذلك لكي يبعد المسلم عن الرياء الذي يحبط العمل ويذهب بثوابه .

والسرية يستعين بها المرء على قضاء حوائجه ، ففي الحديث الشريف : " استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان " ، فإذا اطلع عليها أحد ربما تعرّض صاحبها للحسد والكيد والإيذاء ، وهو كثير في بني آدم ، ما لم يعصم ذلك حاجز الإيمان والتقوى .

ومن مزايا رمضان أنه يكثر الداخلون في رحابه بالعبادة ، وفي المقابل يهجر الكثير من العصاة ما كانوا يقتربونه قبل رمضان ، ولذلك ورد في الحديث الشريف : " إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنان ، وغلقت أبواب النيران ، وصفدت الشياطين " .

وينادي في رمضان من قبل الله ﷻ : " يا باغي الخير أقبل ، يا باغي الشر أدبر " :

|                                 |                                |
|---------------------------------|--------------------------------|
| يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب | حتى عصى ربه في شهر شعبان       |
| لقد أظلك شهر الصوم بعدهما       | فلا تصيره أيضا شهر عصيان       |
| واتل القرآن وسيح فيه مجتهدا     | فإنه شهر تسبيح وقرآن           |
| كم كنت تعرف ممّن صام في سلف     | من بين أهل وجيران وخلان        |
| أفناهم الموت واستبقاك بعدهم     | حيّا فما أقرب القاصي من الداني |

فبلوغ رمضان نعمة من الله ﷻ ، وفضل وتوفيق ورحمة ، وفي الحديث الشريف : " ولو علمتم ما في رمضان لتمنيتم أن يكون سنة " ، أي لو علمتم ما فيه من خير وأجر ومغفرة وقرب إليه سبحانه لأردتم كثرة أيامه ، لأنّ مواسم الخير لا تملّ ،

وأبواب السعادة كلّ يتعلّق بها ويهوى الدخول منها ، ورياض الأُنس تشغف القلب ،  
بما تحويه من باعث للسرور وجالب للحبور .

فليبادر المسلم الصائم إلى الإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ، والرجوع إليه بتوبة نصوح ، وقلب  
منكسر، وخضوع تام ، فإن الإنسان معرض لنزعات تتجاذبه من نفس أمّارة  
بالسوء، وشيطان يتربّص به ، وهوى جامع يميل النفس عن صراط الله المستقيم  
والعياذ بالله.

قال تعالى : " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ  
اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ " (١) .

وقال : " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ  
وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (٢) .

وفي الحديث القدسي : " يا عبادي إنكم تذبنون بالليل والنهار ، وأنا أغفر  
الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم " .

وفي الحديث النبوي الشريف : " رغم أنف من أدركه رمضان فلم يغفر له " .

|                        |                         |
|------------------------|-------------------------|
| أتوب إليك يا رحمن ممّا | جنت نفسي فقد كثرت ذنوبي |
| وأشكوا إلهي من معاص    | أصابتنني وأذتنني عيوبي  |

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

١ ( سورة الزمر، آية ٥٣ .  
٢ ( سورة آل عمران، آية ١٣٥ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## الدرس السادس

### " خصائص رمضان "

الحمد لله خصّ رمضان بمزايا وصفات ، وأجزل فيه العطايا والمثوبات ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين  
وبعد:

فيمتاز شهر رمضان على غيره من الشهور العربية بعدة خصائص ، جعلت له في نفوس المسلمين مكانة عظيمة ، ومنزلة جلييلة ، ومن أجل هذا يستقبلونه كل عام بمزيد من الاهتمام والحفاوة والتقدير ، ومن خصائص هذا الشهر :

١. أن الله اختاره لإنزال القرآن الكريم فيه ، قال تعالى : " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ (١) " ، فقد نزلت الآية الأولى في ليلة القدر من هذا الشهر على رسول الله ﷺ وهو يتعبّد في غار حراء بعيداً عن جاهليّة قريش ومفاسدهم وخرافاتهم ، نزل عليه قول الحق سبحانه : " إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٢) " .

فرمضان هو الشهر الذي وضعت فيه اللبناث الأولى للدستور الإلهي الذي " لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٣) " ، أراد الله به أن يرحم أهل الأرض ، وأن يخرجهم به من ظلمات الجهل والخرافات إلى نور المعرفة والحق والتوحيد الخالص الذي لا شبهة فيه ولا شائبة ، أراد الله أن يكون هذا القرآن هو المرشد لهذه الأمة بنظامه الهادئ الهادف فينير حياتها الدنيوية ، ويحقق به لها النجاة الأخروية .

نعم... نزل القرآن الكريم في هذا الشهر يحفظ على الإنسان إنسانيته ، وينفي عنه كل ماران على هذا الوجود من عوج وانحراف بسبب التقليد الأعمى ، وجمود الفكر وسيطرة الخرافات ، وانتشار الدجل والأوهام ، من أجل هذا كان رمضان مناسبة طيبة للقيام بواجب شكر الله ﷻ على نعمة إنزال القرآن ، نعمة الهداية

١ ( سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

٢ ( سورة العلق ، آية ٤ .

٣ ( سورة فصلت ، آية ٤٢ .

والنور، نعمة تصحيح مسار الحياة على الأرض بعدما أصابها الاضطراب والإعوجاج والانحراف ، واختلاط الحق بالباطل ، كيف جاء هذا الشكر ؟ إنه جاء في عبادة عظيمة من أحب العبادات إلى الحق سبحانه ، وهي عبادة الصوم التي أضافها إليه تشريفاً وتكريماً لها ، جاء في الحديث القدسي : " كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يترك طعامه وشرابه من أجلي "

٢. ومن خصائص رمضان أيضاً أنَّ رسول الله ﷺ سَنَّ لأمته قيام لياليه ، وإحياءها بالصلاة وتلاوة القرآن ، ورغَّب في ذلك وجعله كفَّارة لما تقدَّم من الذنوب ، وقد قال ﷺ : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه . "

والمراد بالذنوب هنا هو : صغائر الذنوب ، قال تعالى : " إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا <sup>(١)</sup> " ، فرمضان من الحسنات التي تذهب السيئات ، والمراد بقيام رمضان في الحديث هو : صلاة التراويح ، وعدد ركعاتها ثمان ، فقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " ما كان يزيد رسول الله ﷺ في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهنَّ ثمَّ يصلي أربعاً ولا تسأل عن حسنهن وطولهنَّ ، ثمَّ يصلي ثلاثاً " والمراد بهنَّ الوتر هكذا السنة في صلاة التراويح ، وما زيد عليها من الركعات فهو استحباب وفي ذلك الفضل ، فالصلاة خير موضوع من شاء فليكثر ومن شاء فليقلل ، والتزام السنَّة فيما ورد عنه ﷺ هو الأولى ، وبعد ذلك يمكن للإنسان أن يصلي وحده في بيته أو في المسجد ما شاء .

---

( ١ ) سورة النساء ، آية ٣١ .

٣. ومن خصائص رمضان أنَّ فيه ليلة خير من ألف شهر تلك هي ليلة القدر والتي قال الحق سبحانه وتعالى فيها : " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ <sup>(١)</sup> " .

وقد حازت هذه الليلة الشريفة التي أنزل فيها القرآن على صفتين عظيمتين :  
**الأولى :** وَصَفُهَا بليلة القدر ، وهو الشرفُ وعلوُّ المكانة ، قال تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ <sup>(٢)</sup> " .

**الثانية :** هي ليلة مباركة قال تعالى : " حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " .

فهذه الليلة إنما حازت هذا الشرف الكبير والمكانة العظيمة بسبب نزول القرآن فيها ، فما حدث في هذه الليلة أمر عظيم ، هزَّ كيان البشرية كلها ، فأيقظها من غفلتها ، وبعثها من جمودها ، وفتح أعينها على النور ، وأضاء لها طريق الحق والرشد والصواب ، وهداها إلى الصراط المستقيم ، فحق لهذه الليلة المباركة أن تفخر بهذه المزية العظيمة ، فينبغي أن يلتمسها المسلمون فيزيدوا من نشاطهم في العبادة لينالوا الأجر الكبير والثواب الجزيل .

( ١ ) سورة القدر ، آية ١-٥ .

( ٢ ) سورة القدر ، آية ١ .

٤. ومن خصائص شهر رمضان أيضا أنه شهر النصر والظفر وإعلاء كلمة الله تعالى ، فأكثر المعارك الفاصلة في حياة الدعوة الإسلامية وقعت في هذا الشهر ، وأولى هذه المعارك " غزوة بدر الكبرى " التي سمّاها الله فرقانا ، وجعلها آية على تأييده ومساندته لنبيه ﷺ وللمؤمنين ، وكان في هذا الشهر فتح مكة ، ذلك اليوم الأغر المحجل ، الذي تحطم فيه الشرك ، وانحدر فيه الباطل ، وألقى فيه المشركون السلاح ، وأسلموا القياد بعد طول تمرد وعناد ، ودخل رسول الله ﷺ مكة ظافراً منتصراً شاكراً لله تعالى ، فحطم الأصنام والأوثان وهو يتلو قول الحق سبحانه: " وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا " (١) .

إنّ المؤمنين الصادقين يعيشون أيام وليالي رمضان وهم يحملون هذه الذكريات العظيمة العزيزة راجين من الله أن يخرجوا من صيامه منتصرين على نفوسهم وهواها ، حائزين لمغفرة من الله ورضوان ، فقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال بعد رجوعه من إحدى غزواته: " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " وهو جهاد النفس والتصدي لها من نزواتها وكبواتها وتمردّها ، " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا " (٢) .

تقبل الله صيامكم وقيامكم وصالحات أعمالكم

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) سورة الأسراء ، آية ٨١ .

(٢) سورة الشمس ، آية ١٠ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## الدرس السابع

### " قيام الليل "

الحمد لله القائل : " وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا  
مَّحْمُودًا <sup>(١)</sup> " والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم  
بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

---

( ١ ) سورة الإسراء، آية ٧٩.

فإن شهر رمضان هو شهر الصيام والقيام ، شهر العبادة والذكر ، شهر الطاعة والصبر .

قيام الليل فيه متعة المناجاة ، ولذة الخلوة مع الله .

قلت ليل هل بجوفك سرّ      عامر بالحديث والأسرار  
قال لم ألق في حياتي حديثاً      كحديث الأحاب في الأسحار

أمر الله ﷻ نبيّه محمد ﷺ بقيام الليل فقال له : " وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا " .

وقال له : " يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ فُمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (١) " .

فكان قيام الليل على نبينا محمد ﷺ فريضة ، أداه بجِدِّ واجتهاد حتى تَفَطَّرَتْ قدماه ، وجعله سنّة على أمته ، يقوم به الموقّقون ، ويحرص عليه المخلصون ، ويؤديه المؤمنون ، الذين قال الحق سبحانه وتعالى في وصفهم : " كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٢) " .

وقال عنهم : " وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٣) " .

وقال : " والمستغفرين بالأسحار (٤) " .

١ ( سورة المزمل ، آية ١-٥ .

٢ ( سورة الذاريات ، آية ١٨ .

٣ ( سورة الفرقان ، آية ٦٤ .

٤ ( سورة الذاريات ، آية ١٨ .

وقال : " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١) " .

كل هذا الثناء الواسع والمدح الجليل والشهادة العظيمة من الله ﷻ لعباده المجتهدين في طاعته ، المتعلقين بحبه ، المخلصين له ، لم تشغلهم الدنيا بزهرتها ، ولم تلهمهم بزخرفها عن ذكره وشكره ، رهبان بالليل أسود بالنهار ، أنضاء عبادة وأطلاح سهر ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأنّ زفير جهنم بين أذنيه .

نامت الأعين إلا مقلة      تذرف الدمع وترعى مضجعا

وقال آخر:

عباد ليل إذا جنّ الظلام بهم      كم عابد دمع في الخدّ أجراه

وقال ﷺ : " أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل " .

ويقول : " أيها الناس أفسحوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا جنة ربكم بسلام " .

روي أنّ الحسن بن صالح الكوفي العابد الزاهد قام الليل بـ " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " فغشي عليه فلم يهتمها إلى الفجر ، وباع جارية له إلى قوم فنامت ليلتها الأولى معهم فلما انتصف الليل قامت فتوضأت فنادت : الصلاة يا قوم ، الصلاة يا قوم ، فقام أهل الدار فزعين ، قالوا : ما شأنك أطلع الفجر ؟ فقالت : ويحكم ، أما تصلون إلّا الفريضة ؟! ، فرجعت إلى الحسن تبكي ، وتقول : ردّني ، أخاف أن أكسد ، لقد بعثني لقوم سوء ، لا يصلون إلّا الفريضة .

أيها الإخوة والأخوات في الله ، هذه حال المؤمنين الصادقين المخلصين في ليالي السنة كلها ، فما بالكم في رمضان ؟ إن قيام رمضان فرصة للتدريب وشحن الطاقة ومواصلة العبادة .

قال النبي ﷺ : " مَنْ قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " .  
روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل فصلّى في المسجد فصلّى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله ﷺ فصلّوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشّهّد ، ثم قال : " أما بعد : فإنه لم يخف عليّ مكانكم ، لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها " .

ثم بعد وفاته ﷺ أمر عمر رضي الله عنه المسلمين أن يجتمعوا على الصلاة حين رآهم أوزاعاً في المسجد ، يصلي الرجل بنفسه ، ويصلي الآخر برجل مثله أو رجلين ، أو رهط من الناس ، فرأى عمر جمعهم على إمام واحد ، فأمر أبي بن كعب وقيم بن أوس الداري أن يصليا بالناس إحدى عشرة ركعة ، وهكذا استمر المسلمون على إحياء هذه السنّة وإقامتها والمحافظة عليها .

إن قيام رمضان فيه فضل عظيم فينبغي أن نحرص عليه في كل ليالي الشهر ، وأن لا يغيب النشاط والاهتمام الذي ينبعث في الليالي الأولى من الشهر ، ثم يخبو شيئاً فشيئاً ، فتجد كثيراً من الناس يتناقلون عن هذه الصلاة إذا مضت العشر الأولى من

رمضان ، ويتشغلون بما لا فائدة فيه ، فعلينا اغتنام هذه الفرص الروحانية ،  
والنفحات الإيمانية ، فإن عقباها الحسنى وزيادة ، والله لا يخلف الميعاد .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الثامن

### " ظاهرة الإسراف "

الحمد لله أمر بكل خير ، ونهى عن كل ضرر وضير ، وأباح النعم بغير إسراف ولا  
مخيلة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان  
إلى يوم الدين وبعد :

فإن الإسراف عادة مذمومة ، وجبلة مشئومة ، وخطيئة عاقبتها غضب الله تعالى ، نعى سبحانه الإسراف فقال تعالى : " وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (١) ، فالمسرف في غضب الله وسخطه ، إذ هو من المبذرين ، والله يقول : " وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا " (٢) .

### الإسراف أصبح ظاهرة في رمضان وغيره ومن أسبابه :

١. ضعف الشعور الديني لدى المسلم ، مما جعله يستسلم لأهوائه وشهواته ، فيفرط في الإنفاق على متعه وملذاته .
  ٢. فقر الحياة الثقافية والاجتماعية ، مما جعل مجال التفاضل بين الناس هو كسب المال وإنفاقه وهدره .
  ٣. ضعف الوعي بقيمة المال وحاجة الأمة إليه ، فالمال قد يصبح أقوى سلاح للأمة ، إذا أدير بشكل متوازن ، فالمال تعز الدول وتهاب ، وتبني حضارتها ، وتشيد مدنيها ، إذا أخذته من حله وأنفقته في محله .
  ٤. الإفتتان بالغرب الغني في طريقة العيش والحياة ، والتقليد له في ذلك ، مما جعل المسلم لا يبالي بالمال من أين أتى ، وإذا أنفق فكذلك يغالي في الإنفاق .
- فعلى هذا فإنه يجب على المجتمع أن يتنبه لهذه الظاهرة الخطيرة ، فينشر الوعي الديني والاجتماعي بضرورة الترشيح في الإستهلاك والإنفاق في كل الأمور الحياتية ، كما إنه من الضروري أيضا أن تكون في المجتمع نماذج قيادية يقتدى بها في التصرفات الحسنة والسلوك القويم .

١ ( سورة الأعراف ، آية ٣١ .

٢ ( سورة الإسراء ، آية ٢٧ .

وكذلك على الحكومات أن تسنّ من القوانين ما يتصدى لظاهرة الإسراف  
ويمنعها ، فالناس كثير منهم لا يفيد فيه الوعظ والتذكير والإرشاد ، ويحتاج إلى  
التقويم الجبري .

### ومن صور الإسراف :

١. كثرة الطعام والشراب بأصنافهما وألوانهما بكميات تزيد عن الحاجة ، ثم بعد  
ذلك تملأ بها براميل القمامة ، وهذا ظاهر في رمضان وفي الأعراس وفي الضيافة ،  
والله تعالى يقول : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا " لأنّ الأغذية في الأصل هي لبناء  
الجسم وتعويض ما يندثر من أنسجته ، ولتقديم القدرة الكافية التي تستنفذ في  
الحفاظ على حرارة الجسم ، وفي قيام أجهزته بأعمالها ، والإعتدال في الطعام  
والشراب هو الذي تدعو إليه الآية الكريمة .

وفي الحديث الشريف : " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم  
لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابداً فاعلا ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث  
لنفسه " .

### ٢. الإسراف في اللباس .

وهذا ممّا أسرف فيه كثير من الناس ، فيغالون في قيمة اللباس الرجالي والنسائي،  
وفي الأعراس تتباهى النساء وتسرف في قيمة الأثواب شراء وخياطة وتطريزاً ، وقد لا  
يلبس الثوب إلّا لمناسبة واحدة ، فليتق الله الجميع في ذلك .

### ٣. الإسراف في التحسينات الحياتية .

من المعلوم أنَّ حوائج الناس وأمورهم ما هي ضرورية أو حاجية أو تحسينية ، فالضرورية ما تحفظ الضرورات الخمس من دين وعقل ونسل ونفس ومال ، والحاجيات هي التي تختل الحياة بفقدائها ، إذ يترتب على فقدانها أن يقع الناس في الضيق والمشقة ، كالرخص المخففة لها من إفطار للمريض والمسافر وقصر الصلاة وغير ذلك .

والتحسينات أو الكماليات هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات التي تألفها العقول الراجحة ، وكذلك تجنب الأحوال المندسات . فهذه هي مقاصد الشريعة تتمثل في كل حسن حميد ، وتظهر في كل فعل رشيد ، وتبرز في كل قول سديد .

فعلى المسلم وهو في الشهر الكريم خصوصاً أن يبتعد عن ظاهرة الإسراف في كل شيء ، وأن يكون معتدلاً في أموره ، سويّاً في أحواله ، غير مفتون بزهرة الحياة الدنيا ومتعها ولذاتها ، وليجعلها وسيلة لا غاية قال تعالى : " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (١) " .

واجعل نصب عينيك أيضاً قوله تعالى : " إَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢) " .

جعلني الله وإياكم من المقبولين عنده ، وجنبنا ما يسخطه ويلهيه عن عبادته وذكره .

١ ( سورة القصص ، آية ٧٧ .

٢ ( سورة الحديد ، آية ٢٠ .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس التاسع

### " الفطور "

الحمد لله رب العالمين ، الذي أباح لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : .

فإنَّ للفطور في رمضان آداباً وسنناً وأحكاماً ينبغي على الصائم التحلي بها ،  
والتمسك بأحكامها ، لكي ينال الثواب والأجر من الله ﷻ ، فكل عمل يعمل به  
المرء ، أو اجتناب لنهي فإنما هو مقيد بأحكام شرع الله : " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي  
وَمُحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ <sup>(١)</sup> " .

فمن أحكام الفطور الإلتزام بوقته ، فقد روى عاصم بن عمر بن الخطاب . رضي  
الله عنهما . أن النبي ﷺ قال : " إذا جاء الليل من ها هنا ، وذهب النهار من ها  
هنا وغابت الشمس فقد أفطر الصائم " ، وفي رواية : " أكل أو لم يأكل " .

فالفطور يتحقق بدخول الليل من المشرق وخروج النهار من المغرب ، وذلك إذا  
غربت الشمس ، فحينئذ يكون الصائم في حكم المفطر ، سواء أكل أو لم يأكل ،  
إذا كان الطعام أو الشراب غير حاضر معه ، وإذا سافر من بلده على الطائرة قبل  
غروب الشمس بقليل واتجه إلى الغرب والشمس في الأفق فإنه لا يفطر حتى تغرب  
الشمس في المكان الذي هو فيه ، ولا عبدة بالمكان الذي ارتحل منه .

ومن سنن الإفطار تعجيله ، لما روى سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : " لا يزال  
الناس بخير ما عجلوا الفطر " ، وفي الحديث القدسي : " إن أحبَّ عبادي إليَّ  
أعجلهم فطرا " ، وقد روت أم المؤمنين عائشة وأبو هريرة . رضي الله عنهما . قول  
النبي ﷺ : " لا يزال هذا الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر ، لأنَّ اليهود والنصارى  
يؤخرون " .

ففي هذه الحديث سنّة تعجيل الإفطار ، وسنّة المخالفة لما عليه غير المسلمين ،  
فيما يتعلّق بالعبادة والسلوك ، فهو يريد ﷺ لأمتة الإستقلالية والعزة ، وعدم

---

( ١ ) سورة الأنعام ، آية ١٦٢ .

الإنسياق وراء الغير ، والتقليد المذموم ، أمة لها كيانها السامي ، ومكانتها العالية بين الأمم ، فهل أدركنا ذلك ؟!!

ويسنّ الإفطار بالتمر للحديث النبوي : " إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور " ، وقوله ﷺ : " أفطروا بالتمر فإنه حلو يزيد في النظر " .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان ﷺ يسمّي التمر واللبن الأطيبين " ، فهذه السنة ينبغي أن نحافظ عليها ولو تعددت الأطعمة والمشروبات في هذا العصر والحمد لله ، لكي نكسب أجر الإقتداء ونحصل على فائدة هذا الغذاء .

وعند إفطارنا لا ننسى الدعاء ففي الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما : " إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد " ، فهي ساعة رحمة ومغفرة وصلة بالله ﷻ .

وكان ﷺ يدعو بقوله : " اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت " ، ويقول أيضا : " ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله " .

ومن دعاء ابن عمر رضي الله عنهما : " اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي " ، ويستحب أن يقدم الصائم إفطارا يتصدق به طلبا للثواب لقوله ﷺ : " من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار ، قالوا : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم ، قال : يعطي الله هذا الثواب من فطر فيه صائماً على تمر أو شربة ماء أو مذقة لبن ..... ومن سقى فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبدا " .

فإذا أفطرت عند أخيك المسلم فادع له بدعاء النبي ﷺ الذي دعاه لسعد بن معاذ رضي الله عنه حين أفطر عنده : " أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار

، وصلت عليكم الملائكة " ، ومن دعائه ﷺ بعد الطعام في رمضان وغيره : " الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوّغه ، وجعل له مخرجاً " ، وقال أيضا : " من أكل طعاما ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه بغير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه " .

وهناك آداب عامة للطعام يستحسن أن نذكرها لمناسبة المقام منها :

- النية الصالحة لحديث : " إنما الأعمال بالنيات " .
- التسمية لحديث : " يا غلام سمّ الله " .
- الأكل باليد اليمنى لحديث : " إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه " ، وللأسف أننا نرى في هذا العصر كثيرا ممن يقلّدون غير المسلمين فيأكلون بشمالهم تاركين السنة ومتشبهين بأعدائها ، انهماكية وخروجاً عن الفطرة والدين .
- الأكل ممّا يلي الجالس للطعام لحديث : " وكل ممّا يليك " ، أي لا يتخير في الطعام وينتقل بيده يمينا وشمالاً ، إلّا ما كان متعارفا عليه كالرطب والفاكهة .
- الاجتماع على الطعام لحديث : " اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه " ، ولا يقول الإنسان : إن الطعام في هذا العصر كثير لا يحتاج إلى اجتماع لتنزل البركة والزيادة عليه ، فإن هذا جهل واستهتار ، فالبركة تنزل في مواضع قد لا ندرىها ، وهي متحققة بإذن الله تعالى لوعدده بها وهو لا يخلف الميعاد .
- أن لا يعيب الطعام ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : " ما عاب النبي ﷺ طعاما قط ، إن اشتهاه أكله وإلّا تركه " .

■ عدم الإفراط في الأكل لحديث : " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابدّ أكلاً ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه " ، فالتخمة تذهب الفطنة .

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدرس العاشر

" السحور "

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
ومن والاه ، وبعد :

فإن السحور للصائم فيه سنة متبعة عن الحبيب محمد ﷺ ، وفوائده جمّة ،  
وأعظمها البركة وسيكون درسنا هذا عن حكمه ، ووقته ، وبم يحصل السحور ،  
وفوائده :

### ١. حكمه :

هو سنة ثابتة من قوله ﷺ وفعله ، أما قوله فهو : " تسحّروا فإن في السحور  
بركة " ،

وما رواه العرياض بن سارية قال : دعاني رسول الله ﷺ إلى السحور في رمضان  
فقال : " هلمّ إلى الغذاء المبارك " .

ووجوه البركة تظهر في أمور منها :

اتباع السنة ، مخالفة أهل الكتاب ، التقويّ به على العبادة ، الزيادة في النشاط ،  
مدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع ، التسبب بالصدقة على السائل في ذلك  
الوقت ، وقد حدث هذا الأخير عندي منذ اثنتي عشرة سنة وأنا في الأردنّ في  
رمضان ، فقد قرع عليّ الباب سائل للطعام وقت السحر وكانت ليلة مشتية قارسة  
مطيرة .

وفيه من البركة أيضا التسبب للدعاء والذكر والصلاة وقراءة القرآن .

قال ابن دقيق العيد : هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية ، فإن إقامة  
السنة يوجب الأجر وزيادة .

ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية ، كقوّة البدن على الصوم ، وتيسيره من غير  
إضرار بالصائم .

قال الشيخ أبو مسلم الرواحي : " يعني والله أعلم أنّ من لا يضرّه السحور عادة وطبعاً فالسحور له بركة ، وإلاً فالنّيب منحصر فيمن لا يضرّه ، وطبائع الناس متفاوتة ، فمنهم من تكفيه أكلة الفطور ، فإن زاد عليها أصبح متخوماً ، وربما أثقلت به البطنة فشغلته عن التهجد والتلاوة ، ومنهم من لو لم يتسحر يصبح ضعيف القوة على الصوم ... لكن الحازم في الدين الحريص على فعل المندوبات يخفف أكله أول الليل ليجعل لأداء السنة المندوبة من التسحر متسعاً ... فالأولى الإتيان بهذه السنة لقصد التبعية ، وللحصول على البركة ، ولو بما خف وقلّ من الغذاء " نثار الجوهر ٢١٨/٣ .

## ٢. وقته :

من منتصف الليل إلى الفجر ، والمستحب تأخير لقوله ﷺ " لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور " .  
وروى زيد بن ثابت قال : تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة ، فسئل كم كان قدر ما بينهما ؟ قال : خمسون آية .  
وعن عمرو بن ميمون قال : كان أصحاب محمد ﷺ أعجل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً .  
وينتهي وقته بطلوع الفجر لقوله تعالى : " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " .

فقد نزلت الآية في صرمة بن قيس ، أو أبي قيس بن صرمة وهو من الأنصار ظلّ نهاره يعمل في أرض له وهو صائم ، فلما أمسى رجع إلى أهله ، وقال لها : قدّمي

الطعام ، فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخيناً فأخذت تصنعه له ، فلمّا فرغت من طبخه وجدت زوجها قد نام فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله ، فأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجهوداً ، فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه ، فلمّا أفاق أتى النبي ﷺ فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال له : يا أبا قيس مالك أمسيت طليحاً ؟ " أي هزياً من التعب ، فقصّ عليه قصته ، فاغتمّ بذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى الآية .

### ٣- بم يحصل السحور ؟

يحصل السحور ولو بأكل شيء قليل من الطعام أو الشراب ، لقوله ﷺ : " السحور بركة فلا تدعوه ، ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء ، فإنّ الله وملائكته يصلّون على المتسحّرين " .  
وقوله : " تسحّروا ولو بلقمة " . وقوله : " نعم السحور التمر " .

### ٤- فوائده :

- من فوائده الإستعانة على الصيام ، ففي الحديث الشريف : " استعينوا بطعام السحر على صيام النهار ، وبقيولة النهار على قيام الليل " .
- الدخول في رحمة الله ، لحديث : " يرحم الله المتسحّرين " .
- حضور صلاة الفجر في جماعة لحديث : " من صلّى الفجر في جماعة كان كمن قام الليل كلّّه " .
- وفي رواية : " كان في ذمة الله حتى يمسي " .

وهذا الوقت يثقل القيام فيه ، ويحرم كثير من الناس من فوائده ، وهو سهل لمن وفقه الله واستعان به ، قال ﷺ : " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإذا هو قام وذكر الله انحلت عقدة ، فإذا توضأ انحلت العقدة الثانية ، فإن صلى ما كتب له انحلت عقده كلها وأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " .

- صلاة قيام الليل :

قال تعالى : " وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (١) " .

- الإستغفار " وَإِلَّا سَحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " ، فالقيام للسحور له فوائد لا تحصى ، دينية ودنيوية كما مرّ ، ومما يؤسف له نرى كثيراً من الناس يسهرون في ليل رمضان منهم إلى صلاة الفجر ومنهم إلى ما قبل الفجر ثم ينامون ، وسهرهم هذا فيما لا فائدة فيه بل مضرة ، من لهو ولعب ومسلسلات وغير ذلك من المهازل ، ولا يعيرون هذا الموسم العظيم اهتماماً ، ولا يراعون له حرمة ، بل يقتلون فيه الوقت ، نوماً بالنهار وسهراً بالليل ، يغيّبون عن قلوبهم ونفوسهم الحكم من هذه العبادة العظيمة والسوق الراجحة ، وفي الحديث الشريف : " ولم علمتم ما في رمضان لتمنيتم أن يكون سنة " .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدرس الحادي عشر

" صيام الجوارح "

١. صيام القلب

الحمد لله القائل: " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (١) " ،  
وصلاة وسلاماً على الحبيب المصطفى والنبي المجتبي محمد وعلى آله وصحبه  
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فالإنسان بجوارحه مسخر لعبادة الله وَعَلَيْكُمْ ، ومسئول عن هذه الجوارح فيم  
استخدمها ؟ .

وفيم كان يستعملها قال تعالى : " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ  
مَسْئُولًا " .

وهي تنادي الإنسان : إن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا . ، وفي  
الحديث الشريف : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا  
فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " ، وجوارح الإنسان تشهد عليه يوم  
القيامة قال تعالى : " يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ  
(٢) " .

والقلب عظمة مهمة في الإنسان ، يكمن فيه اتجاهان : صحيح وسقيم ، وتتصارع  
فيه الأهواء فيغلب عليها المرء بالإستعانة بالله وبأخذ الأسباب ، وتغلب عليه  
بإرخاء الزمام وترك القيادة فيميل إلى الخطوط الحمراء ، ويتجاوز إلى الممنوع ، ومن  
دعائه ﷺ : " اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " ، وللقلب صيام كغيره  
من الجوارح .

صيام العارفين له حنين إلى الرحمن ربّ العارفين

١ ( سورة الإسراء ، آية ٣٦ .  
٢ ( سورة النور ، آية ٢٤ .

تصوم قلوبهم في كل وقت وبالأسحار هم يستغفرون .

فهداية القلب أساس كل هداية ، ومبدأ كل توفيق ، وأصل كل عمل ، ورأس كل فعل ، قال تعالى : " وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ <sup>(١)</sup> " ، فبالقلب يذكر الإنسان ويتعظ : " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ <sup>(٢)</sup> " ، والله قد نعى على أصحاب القلوب الغافلة المريضة فقال : " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا <sup>(٣)</sup> " ، وقال : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا <sup>(٤)</sup> " ، وقال أيضا عنهم : " وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ <sup>(٥)</sup> " ، " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ <sup>(٦)</sup> " .

إنَّ صيام قلب المؤمن هو تفرغته وتنقيته من المواد الفاسدة من شرك مهلك ، ورياء محبط ، واعتقاد باطل ، ووساوس سيئة ، ونوايا خبيثة ، وخطرات مهلكة .  
فالشرك بالله أعظم الكبائر وأخطرها وهو من الموبقات المهلكات والعياذ بالله ، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ <sup>(٧)</sup> " .  
والرياء هو الشرك الأصغر ، ذلك لأنَّ المرائي في عبادته يحب أن يطلع عليه غيره من الناس فينال منه الثناء والمدح ، فبهذا يكون أدخل شريكاً مع الله ، لأنَّ العبادة يجب أن تكون خالصة له وهو يثيب عليها ، وفي الحديث الشريف : " الرياء يحبط العمل كما يحبطه الشرك " ، ولذلك سمي الرياء بالشرك الأصغر .

وقلب المؤمن يصوم أيضا عن :

١ ( سورة التباين ، آية ١١ .

٢ ( سورة ق ، آية ٣٧ .

٣ ( سورة البقرة ، آية ١٠ .

٤ ( سورة محمد ، آية ٢٤ .

٥ ( سورة البقرة ، آية ٨٨ .

٦ ( سورة فصلت ، آية ٥ .

٧ ( سورة النساء ، آية ٤٨ .

- الكبر والتعظيم على خلق الله ، ففي الحديث القدسي : " الكبرياء ردائي ،  
والعظمة إزاري ، من نازعني فيهما عذّبتة " .  
وقال ﷺ : " من تكبر على الله وضعه ، ومن تواضع لله رفعه " .

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر      على صفات الماء وهو رفيع  
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه      على طبقات الأرض وهو وضع

- العُجب ، وهو أن يعجب المرء بنفسه ويحتقر الآخرين .  
ففي الحديث الشريف : " ثلاث مهلكات : إعجاب المرء بنفسه ، وشح مطاع ،  
وهوى متبع " .

إني بليت بأربع لم يخلقوا      إلا لشدة هلكتي وشقائي  
إبليس والدنيا ونفسي والهوى      كيف الخلاص وكلهم أعدائي

- الحسد ، وهو تمنيّ زوال النعمة من الغير ، بخلاف الغبطة فهي جائزة وذلك أن  
تتمنيّ مثل ما عند غيرك من النعمة .

وفي الحسد يقول تعالى : " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (١) "   
قال ﷺ : " لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغظوا ولا تناجشوا، ولا يبع بعضكم على  
بيع بعض " .

وقد أخبر النبي ﷺ ثلاث مرات عن رجل من أصحابه أنه دخل الجنة ، فلما سئل ذلك الرجل ، بم تدخل الجنة ؟ قال : أنام وليس في قلبي حسد أو حقد أو غش مسلم .

إذا بقي قلب المؤمن عامرا بالإيمان ، مضيئا بنور الله : " نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (١)  
قال أبو سليمان الدارني : إنّ النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورقّ ، وإذا شبع عمي القلب.

فعلى الصائم أن يجعل قلبه وعاء نظيفا طاهرا ، يستقبل فيه ما يحييه بالطاعة لله ، ويثبته باليقين بالله ، ويعمره بالذكر والحمد والثناء لله .  
وعليه أن يحيطه بسياج منيع ، وحاجز حصين من أن تخترقه فيروسات المعصية ، وجراثيم المخالفة ، وأشعة الانحراف الحارقة .  
قلب حصنه الإيمان ، وسلاحه التقوى ، وزاده العبادة الخالصة ، قلب روضته الإحسان ، وفيضه المعروف ، وجداوله النوايا الحسنة .

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدرس الثاني عشر

" صيام الجوارح "

٢. صوم اللسان

الحمد لله رب العالمين ، القائل : " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١) " ،  
والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى والنبي المجتبى ، وعلى آله وأصحابه ،  
واتباعه وأحبابه .

فيقول الرسول ﷺ : " قال الله ﷻ : " كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا  
أجزى به " .

وقال ﷺ : " الصيامُ جُنَّةٌ فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا  
يجهل ، فإن شاتمهُ أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم ، إني امرؤ صائم ، والذي  
نفسُ محمد بيده لخلوفُ فم الصائم أطيبُ عند الله يوم القيامة من ريح المسك ،  
وللصائم فرحتان يفرحها : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه " .

فكن أخي المسلم محيطاً بهذا المعنى الكبير الذي تنطوي عليه كلمات هذا  
الحديث الشريف ، الذي تعلّمنا فيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه آداب  
الصيام والأحوال التي يجب أن يلتزم بها الصائم والثمرة التي تتحقق من الصيام ،  
فالصوم جُنَّةٌ أي وقاية للمرء من الوقوع في أي مخالفة قولية أو فعلية ما دام الإنسان  
مستشعراً أن الله هو الذي يعرف حقيقة الصيام ، وأنه هو الذي يكافئ عليه ، فقد  
ورد في هذا الحديث أنّ الإنسان المسلم الصائم لا يرفث ، أي لا يتكلّم بفُحش  
القول .

ولا يصخب أي : لا يصيح ولا يُخاصم ، ولا يجهل : أي لا يرتكب شيئاً من  
أفعال الجاهلية كالسفه والسخرية .

فإن شاتمته أحد : أي شتمه متعرضاً لذلك ، أو قاتله : أي نازعه ودافعه ، فليقل :  
إني صائم ، أي يقول بلسانه ليُعلم مخاطبه أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث  
والجهل ، أو يقول ذلك لنفسه ليمنعها من مقابلة الجهل بالجهل .  
فالصائم إذن مطالب بكف جوارحه عما لا يُرضي ربه ، وإلا فلا معنى للصيام ولا  
ثمرة له ، ففي الحديث الشريف : " رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع "  
وجاء أيضا في حديث آخر : " ليس الصيام من الأكل والشراب ... وإنما الصيام  
من اللغو والرفث " .

وقد حذر الرسول ﷺ في الوقوع مما يُغضب الله ﷻ وخاصة إذا ما حلَّ شهر  
رمضان فقال : " إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَزِينُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ لَشَهْرٍ رَمَضَانَ ... فإذا دخل  
رمضان ، قالت الجنة : اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك سكانا ، ويقلن  
الحوار العين : اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجا ، فمن صان نفسه  
في شهر رمضان فلم يشرب فيه مسكراً ولم يَزِم فيه مؤمناً بالبهتان ، ولم يعمل فيه  
خطيئة زوجه الله تعالى كل ليلة مائة حوراء وبنى له قصراً في الجنة من ذهب وفضة  
وياقوت وزبرجد ، لو أنَّ الدنيا جُمِعَتْ فجُعِلَتْ في ذلك القصر لم تكن فيه إلا  
كمربط عنز في الدنيا ، ومن شرب فيه مسكراً ، أو رمى مؤمناً ببهتان ، أو عمل  
فيه خطيئة أَحَبَّ الله عمله سنة ... فاتقوا شهر رمضان ... فإنه شهرُ الله أنْ  
تفرطوا فيه فقد جعل لكم أحد عشر شهراً تتنعمون فيها ، وجعل لنفسه شهر  
رمضان فاحذروا رمضان " .

فصون اللسان واجب على المسلم وخاصة في رمضان ، والمرء مراقب في أقواله من  
قبل الله ﷻ قال تعالى : " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١) " .

وحفظ اللسان عن الوقوع بها في المسلمين دليل على حسن إسلام المرء ، ففي الحديث الشريف : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " .

لسانك لا تذكر به عورة امرئ      فكلك عورات وللناس ألسن .

- وقال ﷺ لمعاذ : " كفّ عليك هذا " وأشار إلى لسانه ، قال معاذ : " أو إنا مؤخذون بما نتكلم به يا رسول الله ؟ " ، قال ﷺ : " ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم " .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويكي ويقول : هذا أوردني الموارد .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما مخاطبا لسانه : " يا لسان قل خيرا تغنم ، أو اسكت عن شرّ تسلّم " .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : " والله ما في الأرض أحق بطول حبس من لسان " .

- وقال عمر رضي الله عنه : " مَنْ كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثر زلّته ، ومن كثر زلّته فالنار أولى به " .

إن حبس اللسان وضبطه وحفظه ضمان لدخول الجنة ، ففي الحديث الشريف : " من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة " .

ومن صوم اللسان منعه عن الكذب قال تعالى : " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١) " .

وقال ﷺ : " إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور , وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا " وكذلك منعه عن الغيبة والنميمة وقول الزور ، ففي الحديث الشريف : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " .

وقد روى جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال : " الغيبة تفسد الصائم وتنقض الوضوء " .

قال تعالى : " ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه " .

|                              |                         |
|------------------------------|-------------------------|
| إحذر لسانك أيها الإنسان      | لا يلدغَنَّك إنه ثعبان  |
| والله إنَّ الموت زلَّةٌ لفظة | فيها الهلاك وكلها خسران |

وقال آخر :

|                         |                          |
|-------------------------|--------------------------|
| الصمت زين والسكوت سلامة | وإذا نطقت فلا تكن مكثارا |
| فلتدمن على سكوتك مرة    | ولتدمن على الكلام مرارا  |

سئل ﷺ عن الغيبة قال : " ذكرك أخاك بما يكره " ، قيل : فإن كان في أخي ما أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته , وإن لم يكن فيه فقد بهته " والبهتان أشد إثما من الغيبة .

وفي النميمة يقول تعالى " وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١) " ،  
ومرَّ ﷺ بقبرين فقال : " إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، ( أي في أمر شاق  
عليهما) أما أحدهما فكان يمشي بين الناس بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبري  
من البول "

لقد أمر الله ﷻ بالقول الحسن السديد فقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا  
قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (٢) " .  
ويقول : " وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ  
كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٣) " .

وربما كلمة يقوله المرء يكون لها شأن عظيم في علو المنزلة ، وضدّها كلمة تبلغ من  
سخط الله مكانة والعياذ بالله .

قال ﷺ: " إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ الْكَلِمَةَ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ  
يَكْتُبُ اللَّهُ ﷻ لَهَا بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ  
سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنَّ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْهِ سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ  
يَلْقَاهُ " .

وقال: " إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلّها تذكّر اللسان تقول : إتق الله فينا  
فإنما نحن بك ، فإن استقمتم استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا " .

وقال أيضا : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ " .  
- وبهذا يتبين لنا جلياً أن صيانة اللسان أمر مهمّ وفي رمضان أهمّ ، لتأثير ما تقوله  
من مخالفة على الصيام ، ويجب على المسلم أن تكون لسانه صائمه في رمضان

---

١ ( سورة القلم ، آية ١٠ .  
٢ ( سورة الأحزاب ، آية ٧٠ .  
٣ ( سورة الإسراء ، آية ٥٣ .

وغيره عن كل ما يسخط الله ، ويجب عليه أن يحبسها عن كل ما يشينه ويحطّ من قدره ، ولا يكن ثثاراً مهذاراً ، وإنما عليه أن يحسب للكلمة ألف حساب ، فقد تخرج منه كلمة نابية فتجلب عليه أموراً لا تحمد عقباه .

جراحات السنان لها النائم      ولا يلتام ما جرح اللسان .

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الثالث عشر

### " صيام الجوارح "

#### ٣. صيام البطن

الحمد لله رب العالمين ، القائل : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ " (١) ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإنَّ الطعام حلاله وحرامه له أثر على حياة الإنسان وسلوكه ، فرمما لقمة من حرام دخلت في جوفه غيّرت مسار الإنسان ، وانحرف عن خطِّ سيره المستقيم ، وابتعد عن هدي الله القويم .

وتظهر أهمية الطعام الحلال في خطاب الله ﷻ للناس عامة ، وخطابه للرسل ، وخطابه للمؤمنين .

فقال مخاطبا للناس عامة : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ " (٢) .

وقال في مخاطبة الرسل عليهم السلام : " يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " (٣) ، وهم وإن كانوا معصومين من الوقوع في المخالفة والمعصية ولكن تذكير لهم وبيان .

١ ( سورة البقرة ، آية ١٧٢ .

٢ ( سورة البقرة ، آية ١٦٨ .

٣ ( سورة المؤمنون ، آية ٥١ .

وقد ذكر الحق سبحانه أنَّ من بين مهمّات نبيّه محمد صلوات الله وسلامه عليه أن يحلّ للمرسل إليهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ، وهذا كله بأمر الله تعالى : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (١) " : " وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ (٢) " .

كما خاطب الله المؤمنين بقوله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ (٣) " .

والقلوب تقسو إذا خبث المأكّل والمشرب ، وينطمس النور منها عندما تفقد اللقمة الحلال .

والدعاء تحجب استجابته ، فقد ذكر ﷺ الرجل أشعث أغبر يطيل السفر ، يمدّ يديه إلى السماء ، يقول " يا ربّ ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذّي بالحرام ، فأني يستجاب له " .

ويقول ﷺ : " أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة " ، إذن صيام البطن امتناعه عن الأكل الحرام ، ويظهر ذلك في أمور :

١. اجتناب أكل أموال الناس بالباطل ، أي بغير حق ووجه ، سواء بغصب أو نصب أو سرقة أو احتيال أو منازعة بدون وجه مقبول .

قال ﷺ : " القليل من أموال الناس يورث النار " قالوا : ولو كان شيئاً قليلاً يا رسول الله ؟ ، قال : ولو كان قضيباً من أراك " .

وفي رواية : وضع إصبعه على الأرض وحمل تراباً قليلاً لصق بها وقال : " ولو كان كهذا " .

---

١ ( سورة النجم ، آية ٤ .  
٢ ( سورة الأعراف ، آية ١٥٧ .  
٣ ( سورة البقرة ، آية ١٧٢ .

وفي المخاصمة بغير حق يقول : " إنما أنا بشر مثلكم تختصمون إليّ فأحكم بينكم ، ولعلّ بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه فإنما أقطع له قطعة من نار " .  
وفي الغصب يقول : " لا عرق ولا عرق لظالم " ، أي عليه أن يردّ ما غصبه ، وليس له شيء منه ، حتى ولو زرع وأثمر فلا عناء له .

## ٢. اجتناب أكل الربا :

فإنه حرب مع الله ورسوله ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (١) ، ويقول : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " (٢) .

وفي الحديث الشريف : " لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهديه " ، وقال : " هم سواء " أي في الإثم .

٣. كما يصوم البطن عن أكل الربا فإنه يصوم أيضا عن أكل كل سحت وما داخله غشّ أو أكل لمال يتيم ، أو رشوة ، أو كهانة .

قال ﷺ : " كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به " .

وقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا " (٣) .

١ ( سورة آل عمران ، آية ١٣ .

٢ ( سورة البقرة ، آية ٢٧٨ .

٣ ( سورة النساء ، آية ١٠ .

وفي الرشوة يقول ﷺ : " لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما " أي الساعي بالرشوة بين الطرفين .

والرشوة هي المنفعة التي يأخذها الموظف العام من الناس لأجل عمل يقدمه لهم ، وهي حرام قليلها وكثيرها ، وهي بيت الفساد الإداري والطامة العظمى التي تقوّض الدول وتشيع الفوضى وتنشر الخراب .

والكهانة وهي ما يدفع من أجره للعزّافين والدجالين والمشعوذين حرام وهي من السحت .

فقد روي أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه أكل ذات يوم طعاما ثم سأل خادمه من أين هذا الطعام ؟ قال : من كهانة كنت أتكهّن بها في الجاهلية ، فأدخل أبو بكر يده فأخرج ما في بطنه من الطعام .

إذن فعلى المؤمن أن يطيب لقمته ويحفظ بطنه ، قال ﷺ : " استحيوا من الله حق الحياء ، ومن استحيا من الله حق الحياء حفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ومن تذكر البلى ترك زينة الحياة الدنيا " .

فما أطيب اللقمة الحلال التي تأتي من كدّ اليمين وعرق الجبين ، ففي الحديث الشريف : " ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داؤد عليه السلام كان يأكل من عمل يده " .

قال تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ <sup>(١)</sup> " .

---

( ١ ) سورة سبأ ، آية ١١ .

وعمل نبينا محمد ﷺ في الرعي وفي التجارة ، وعمل زكريا نجاراً ، وعمل داؤد حدّادا عليهم السلام .

وفي الحديث الشريف : " إن الله يحب المؤمن المحترف " .

وقال ﷺ : " من أمسى كالاً من عمل يده بات مغفوراً له " .

فلنكن في رمضان وغيره على مائدة من الطعام حلال ، يطيب أكلها بالطيبات ، وتزهو الحياة بها بالمسرّات ، وتحصد بها في العقبى الحسنات ، بفضل ربّ الأرض والسموات .

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الرابع عشر

### " صيام الجوارح "

#### ٤. صيام العين

الحمد لله رب العالمين ، حمدا يليق بجلاله وكماله ، والصلاة والسلام على الحبيب محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فأيها الصائم الكريم إنَّ جوارحك أمانة عندك ، تسأل عنها يوم القيامة ، قال تعالى : " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " (١) ، أجهزة مركبة في الإنسان لاستعمال مشروع ، يرضي المولى سبحانه ، لأن كل شيء مخلوق لطاعته ، وموجه في مرضاته .

فغضُّ البصر عن رؤية الحرام هو الصيام المقصود من هذه الجارحة ، وإغماضها عن الفحشاء وإغلاقها عن المناهي واجب ، قال تعالى في شأن غضِّ البصر : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ " (٢) .

سأل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رسول الله ﷺ عن النظر فقال : " غُضِّ بَصْرُكَ " .

وفي الحديث الشريف : " العينان تزنيان ، واليدان تزنيان ، والرجلان تزنيان ، والفرج يزني " ، وكما يقال : العين بريد الزنى ، ذلك لأنَّ إطلاقها في نظرة محرمة

١ ( سورة الإسراء ، آية ٣٦ .  
٢ ( سورة النور ، آية ٣٠-٣١ .

تستتبع عملاً أقبح وأشنع ، وأعظم وأبشع ، ثم إنها تستجلب الهمّ وشغل البال وهيام القلب ، فهي كالسهم تؤثر جراحاً أو تصيب مقتلاً ، قال ﷺ : " النظرة سهم من سهام إبليس ، من تركها مخافة الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه " .

نعم إنها حلاوة الطاعة والإنقياد والإذعان لأوامر الله تعالى والإجتناب عن مناهيه .

قيل عن العين : هي رائد إذا أرسل صاد ، وإذا قيد انقاد ، وإذا أطلق وقع بالقلب فساد .

وقيل فيها أيضاً : إذا أفلتت حبلها أوبقتك ، وإذا أطلقت قيدها عذبتك .  
قال أحد السلف : أطلقت عيني مرة في حرام فنسيت القرآن الكريم بعد أربعين سنة .

فلذلك قيل : من لم يحبس نظره عن الحرام أصيب بأربع مصائب :

١. تشتت القلب في كل واد ، وتمزقه في كل أرض ، فلا يهدأ له بال ، ولا يقرّ له قرار .

٢. إتعاب النفس بفقد ما نظرت وعدم تحصيله .

٣. ذهاب العبادة وحلاوة الطاعة وتبدد نور الإيمان .

٤. ذنب عظيم وإثم كبير .

|                          |                           |
|--------------------------|---------------------------|
| وكتمتي أرسلت طرفك رائدا  | إلى كل عين أتعبتك المناظر |
| أصبت الذي لاكله أنت قادر | عليه ولا عن بعضه أنت صابر |

فمن غَضَّ بصره عن الحرام ، وعمر باطنه بالتقوى ، وظاهره باتباع السنة لم تخطئ له فراسة ، قال تعالى : " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ <sup>(١)</sup> " .

### ومن الفوائد التي ذكرت في غَضِّ البصر :

١. تحقق طاعة الله وَعَلَيْكَ في امتثال أمره.
  ٢. سلامة القلب وعمارته بالإيمان وراحته واطمئنانه .
  ٣. فتح الله لعبده بالعلم والمعرفة والتوفيق والسداد جزاء تقواه .
  ٤. البعد عن الفتن والأمان من البلايا.
  ٥. فرقان من الله في قلوب العارفين ، ونور منه في نفوس الصادقين ، يعطيه لمن غَضَّ بصره .
- فليحفظ الصائم بصره عن الحرام ليتحقق له القبول ، وينال من الله الأجر والثواب .
- ولا يضع جهده وصومه وعبادته بدون نتيجة يتلقَى سرورها ، ومثوبة ينتظر حبورها .

إذا لم يكن في السمع مني تصامم      وفي قلتي غَضٌّ وفي منطقي صمت  
فحظي إذن من صومي الجوع والظما      وإن قلت إني صمت يوما فما صمتُ

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

( ١ ) سورة الحجر ، آية ٧٥ .

## الدرس الخامس عشر

### " صيام الجوارح "

#### ٥. صيام الأذن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فيقول الحق سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم : " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا <sup>(١)</sup> " ، فالأذنان جهازان خلقا في الإنسان لكي يستعملهما في الطاعة لله وَعَلَيْكُمْ ، ويمنعهما من استماع ما يجلب له سخط الله ، وسماع المحرم مؤثر على الصيام .

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| إذا لم يكن في السمع مني تصامم | وفي مقلتي غضّ وفي منطقي صمت  |
| فحظي إذن من صومي الجوع والظما | وإن قلت إني صمت يوما فما صمت |

فالأذن تصوم عن سماع الخنا والفحش والبذاء واللغو وتعرض عن ذلك كله ، حتى يصل المرء لدرجة المؤمنين الذين وصفهم الحق سبحانه بقوله : " وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ <sup>(٢)</sup> " ، وقال : " وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا <sup>(٣)</sup> " ، وقال عنهم أيضا : " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ <sup>(٤)</sup> " .

١ ( سورة الأسرار ، آية ٣٦ .

٢ ( سورة المؤمنين ، آية ٣ .

٣ ( سورة الفرقان ، آية ٧٢ .

٤ ( سورة القصص ، آية ٥٥ .

وفي المقابل هناك قوم أعد الله لهم عذابه لتعطيل جوارحهم عما يجب عليهم استعمالها فيه قال تعالى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١) " .

ولو كانوا سمعوا الحق كما ينبغي لعمرت قلوبهم بالإيمان ، وازدهرت بالطاعة والإذعان ، قال تعالى : " وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (٢) " .

إنَّ سماع قول الحق تخشع له القلوب ، وتهوى إليه الأئمة ، فهذا نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه سمع امرأة عجوز في المدينة حين مروره بإحدى طرقها سمع المرأة تقرأ : " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ (٣) " وهي ترددها وتبكي ، فأخذ ﷺ يسمع لقراءتها ويردد : " نعم أتاني نعم أتاني " .

فالمؤمن هكذا دأبه قول الحق ، واستماع الحق ، والعمل بالحق ، والسير في طريق الحق والصدق والعدل ، والمؤمن بعيد عن اللغو والفحشاء في كلامه وكذلك يجنب نفسه عن استماعه .

وإذا سمع من يطعن في المؤمنين دافع عنهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإن لم يستطع أعرض عن الطاعنين قال ﷺ : " من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة " .

١ ( سورة الأعراف، آية ١٧٩ .

٢ ( سورة التوبة ، آية ١٢٤ .

٣ ( سورة الغاشية ، آية ١ .

وكذلك في سماعه لأي قول محرم قال تعالى : " وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١) " .

وسمعتك صن عن سماع القبيح  
فإنك عند استماع القبيح  
تصون اللسان عن النطق به  
شريك لقائله فانتبه

قال ﷺ : " المغتاب والمستمع شريكان في الإثم " ، فالغيبة وهي : ذكرك أخاك بما يكره حرام واستماعها حرام .

والإستماع إلى الكذب حرام ، وهو ما نعه الله على المخالفين لأمره فقال : " سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ (٢) " .

واستماع الغناء واللهو حرام ، ذلك لأنه يمت القلب ويطفئ نوره ويجرّ إلى الفحشاء ، وعقوبته شديدة ففي الحديث الشريف : " من استمع إلى قينة صبّ الله عليه الآنك في أذنه يوم القيامة " ، ومعنى قينة أي مغنية ، والآنك : الرصاص الأسود المذاب .

وقال ﷺ : " صوتان ملعونان يوم القيامة : صوت مرّنة عند نعمة ، وصوت نائحة عند مصيبة " ، وصوت مرّنة أي المغنية في الفرح وإظهار النعمة والإحتفال بأيّ مناسبة .

والنائحة هي التي تنوح عند الموت فتعدّد محاسن الميّت في بكائها ، وكل ذلك منهيّ عنه .

١ ( سورة الأنعام ، آية ٦٨ .  
٢ ( سورة المائدة ، آية ٤٢ .

فصون الأذن عن سماع المحرمات واجب في رمضان وغيره ، ولكن في رمضان  
أعظم حرمة الصوم ولرعاية قدسيته .

يا أذن لا تسمعي غير الهدى أبدا      إن استماعك للأوزار أوزار

فاجعل أيها الصائم الكريم أذنك نافذة يدخل منها الخير ويخرج منها الشر ،  
إجعلها نافذة يشعّ منها النور الذي يضيئ قلبك وجوفك .  
إجعلها نافذة يدخل منها نهر الإيمان ، فيروي بستان الإحسان ، ويثمر التقوى  
والطاعة والإنقياد والإذعان ، تحصد بعدها الرضا والعفو والمغفرة والقبول والرضون .

لا تستمع إلا لقول صادق      يغنيك عن خطل من الأقوال  
فالأذن نافذة العلوم وخيرها      أذن وعت ذكرا تلاه التالي

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس السادس عشر

### " مع القرآن الكريم "

١

" الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قِيَمًا لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً " ،  
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وسراجاً للمهتدين وختاماً للمرسلين  
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :  
فيقول الحق سبحانه وتعالى : " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ  
وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ (١) " ، لقد أنزل الله القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى  
السماء الدنيا دفعة واحدة في هذا الشهر المبارك ، ثم أنزله الحق سبحانه بعد ذلك  
مفرقاً حسب الوقائع والأحداث .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : " إن صحف إبراهيم أنزلت في أول  
يوم من رمضان ، وإن التوراة أنزلت على موسى بعد مضي ستة أيام من رمضان ،  
وإن الزبور أنزل على داود بعد مضي اثني عشر يوماً من رمضان ، وإن الإنجيل أنزل  
على عيسى بعد مضي ثمانية عشر يوماً من رمضان ، وإن الفرقان أنزل على  
محمد ﷺ بعد مضي أربعة وعشرين يوماً من رمضان " .

القرآن الكريم كتاب هداية ، ونور بصيرة ، ومنهج حياة ، ومبشر بسعادة ،  
ومنذر بعقاب ، قال تعالى : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

---

( ١ ) سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١) " .

فهو نور الله المبين وهو الصراط المستقيم وهو البرهان القاطع والدليل الدامغ : " يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (٢) " ، هدى الله به من الضلالة ، وبصر به من العمى ، وأنقذ به من الهلاك .

كان العرب قبل نزوله في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ، كانوا كما وصفهم الحق سبحانه : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣) " .

ثم تحولوا بعد ذلك كما يقال في هذا العصر إلى مائة وثمانين درجة ، كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، ولا تعرف من الحق شيئاً ، فصاروا بعد ذلك إلى أمة قيادة ، يحسب لها ألف حساب ، خاضوا بحر العلوم فأخرجوا منه الدرر ، ورقوا أعلى الدرجات فسموا بهم الدهر وازدهر ، وفتحوا أصقاع الأرض فنشروا الإسلام بجهود جبارة وانتشر ، فحق لهم الثناء قال تعالى : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا (٤) " .

قال الأديب الكبير مصطفى الرافعي واصفا العرب قبل نزول القرآن الكريم : كانوا بين راع للغنم ، وداع للصنم ، وعالم على وهم ، وجاهل على فهم ، وإنسان كأنه آله من شره لفناء الإنسان ، وشيطان كأنه من خبثه مادة لوجود الشيطان .

ثم تحولوا بعد ذلك كما قال عنهم : كأنما جاء هذا القرآن ونفخ هذه الجذيرة العربية ، إذ أخذ بطرف أديمها فنفضها تحت شعاع الشمس ، فتفرقت ذراتها تحت

١ ( سورة الإسراء ، آية ١٠ .

٢ ( سورة النساء ، آية ١٧٤ .

٣ ( سورة الجمعة ، آية ٢ .

٤ ( سورة الفتح ، آية ٢٩ .

أرجاء الأرض فكأنما وقع وراء كل ذرة عربي يحمل هداية القرآن ، كأنما هو رسول إلى أمة ، يدعو الناس إلى الخير ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .  
قال تعالى : " قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ <sup>(١)</sup> " .

فبالقرآن الكريم نهتدي إلى الإيمان ، وهو حجر الزاوية في بناء الإنسان ، ومن لم يكن مؤمنا فهو كبيت خرب تسكنه الهوام والحشرات ، وبالقرآن نخرج من الظلمات ، ظلمات الشرك والجهل والأوهام والخرافات إلى نور الحق والصدق واليقين .

وبالقرآن نسلك إلى الطريق القويم والصراط المستقيم ، الموصّل إلى الله تعالى وإلى مرضاته ، وإلى المقصد والغاية من الحياة الدنيا قال تعالى : " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ <sup>(٢)</sup> " .

### أيها الأحبة في الله :

هذا شهر القرآن فاجعلوا له عناية خاصة في هذا الشهر ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة .

وفي العام الذي توفي فيه الرسول ﷺ عارضه جبريل القرآن مرتين ، ولذلك استحَبَّ العلماء أن يختم المسلم القرآن الكريم في رمضان ، وقد نقل عن بعض السلف أنهم يختمون القرآن في ثلاث ليال في رمضان .

---

١ ( سورة المائدة ، آية ١٦ .  
٢ ( سورة القصص ، آية ٧٧ .

كما كان كثير من العلماء الذين يقيمون حلقات العلم في سائر أيام السنة يتوقفون عنها في رمضان فيشتغلون بقراءة القرآن بأنفسهم أو في تلك الحلقات ، قال بعضهم : إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام .

فالقرآن الكريم معين لا ينضب ، وخير لا ينقطع ، ونور لا ينطفئ ، وخير وصف له مَن أنزل عليه القرآن سيدنا وحبيبنا محمد صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: " ستكون فتن قلت: وما المخرج منها ؟، قال: «كتاب الله , فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين , وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد , ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: {إنا سمعنا قرآنا عجبا}، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»، .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس السابع عشر

### " مع القرآن الكريم "

٢

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :  
فأيها الأحبة في الله لا زلنا في الحديث عن القرآن الكريم في شهر القرآن والمغفرة والرضوان ، إن القرآن الكريم يشفع لقاريه يوم القيامة كما أن الصيام كذلك ، فقد ورد في الحديث الشريف : " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ، ويقول الصيام : أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان " ، وقال أيضا : " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه " .

سمعتك يا قرآن والليل غافل      سریت تهزّ القلب سبحان من أسرى  
فتحنا بك الدنيا فأشرق صباحها      وطفنا ربوع الكون نملؤها أجرا

قراءة القرآن الكريم سبب لجلب الأجر واستمطار الحسنات ، وبلوغ أعلى الدرجات .

قال ﷺ : " من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف " .

وحافظ القرآن الكريم له منزلة كبرى عند الله تعالى وعند الناس ، أما عند الله ففي مقام محمود وموقف مشهود ، وأما عند الناس فتقدير واحترام ، وإجلال في كل مقام .

قال ﷺ : " مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده ، وهو عليه شديد فله أجره " ، وقد كنت قبل ثلاث سنوات في زيارة لليبيا ، بلد المليون حافظ للقرآن الكريم ، وقد أخبرت أنّ حافظ القرآن الكريم هنا يوظّف بدرجة خريج جامعة ، ولو لم تكن عنده شهادتها . وهذا يدل على احترام حامل القرآن والعناية به ، فعسى أن تحذو الدول الإسلامية هذا المنهاج .

### أيها الأحبة في الله:

لقد تعبدنا الحق سبحانه وتعالى بتعلّم القرآن الكريم وتعليمه وتلاوته وتدبر معانيه والإدكار بما يحويه وكذلك بالعمل به .

قال ﷺ : " خيركم من تعلّم القرآن وعلمه " .

ويقول : " علّموا أولادكم القرآن ، فإنه أوّل ما ينبغي أن يتعلّم من علم الله هو " ، ويقول : " أدّبوا أولادكم على ثلاث : حبّ نبيّكم ، وحبّ آل بيته ، وقراءة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظلّ الله ، يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، مع أنبيائه وأصفیائه " .  
درجة عظيمة ومنزلة رفيعة لأهل القرآن فهم تارة مع الملائكة الكرام وأخرى مع الأنبياء والأصفیاء .

ففي الحديث الشريف : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه فيما بينهم ، إلاّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده " .

إن تلاوة القرآن الكريم هي دأب الصالحين الصادقين ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (١) " .

## ومن آداب التلاوة :

١. الطهارة من الحدث الأصغر ( البول والغائط ) ومن الحدث الأكبر ( الجنابة والحيض والنفاس ) قال تعالى : " لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٢) " .

٢. إخلاص النية لله ﷻ في التلاوة ، والإخلاص شرط في كل عبادة ، قال تعالى : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " ، وقال : " فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٣) " .

٣. حضور القلب والتدبر والخشوع أثناء التلاوة .

قال تعالى : " كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٤) " .

وقال : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٥) " .

وقال : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٦) " .

وقد قرأ ابن مسعود رضي الله عنه على الرسول ﷺ أول سورة النساء فلما بلغ قوله تعالى : " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٧) " ، قال ﷺ : " حسبك الآن " ، قال : فنظرت فإذا عيناه تذرفان .

١ ( سورة فاطر ، آية ٣٠ .

٢ ( سورة الواقعة ، آية ٧٩ .

٣ ( سورة غافر ، آية ١٤ .

٤ ( سورة ص ، آية ٢٩ .

٥ ( سورة محمد ، آية ٢٤ .

٦ ( سورة النساء ، آية ٨٢ .

٧ ( سورة النساء ، آية ٤١ .

وسمع ﷺ امرأة عجوزا تقرأ : " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) " وترددها فوقف وقال : " نعم أتاني ، نعم أتاني " .

٤- ترتيل القرآن وتلاوته جيّدا:

قال تعالى : " وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا " ، وفي الحديث الشريف " : زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا " .

ولقد استمع النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن ثم قال : " لو رأيته وأنا استمع إليك البارحة ، لقد أوتيت زممارا من مزامير آل داود " ، فقال أبو موسى : لو علمت يا رسول الله أنك تستمع إليّ لحبّرت لك تحبيرا " أي لزيّنت صوتي في التلاوة كثيرا .

### أيها الأحبة في الله:

لقد تعبدنا الحق سبحانه بالعمل بكتابه وجعله منهج حياتنا ودستور أحكامنا في جميع أمور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.

قال تعالى : " مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (٢) " .

وقال : " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٣) " .

وقال : " كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (٤) " .

وفي الحديث الشريف : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنتي " .

١ ( سورة الغاشية ، آية ١ .

٢ ( سورة الأنعام ، آية ٣٨ .

٣ ( سورة النحل ، آية ٨٩ .

٤ ( سورة هود ، آية ١ .

وقال تعالى : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١) " .

فعلينا أن نلتزم بهدي كتاب الله عملاً وقولاً ، فذلك هو العمل الصالح المترتب عليه الأجر الكبير .

جعلني الله وإياكم ممن استمع القول وعمل به ، ونفعنا بأي الذكر الحكيم ، وهدانا إلى الصراط المستقيم .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الثامن عشر

### " غزوة بدر الكبرى "

الحمد لله الذي أعز الإسلام بالنصر المبين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فهذا شهر رمضان ، شهر الصبر والجهد ، شهر النصر والظفر، فيه أحداث للمسلمين تاريخية ، عليهم أن يأخذوا منها العبرة ويتعلموا منها الدروس والعظات .

من أهم أحداث رمضان غزوة بدر الكبرى ، نصر الله فيها المسلمين ، وأعزّ الحوزة والدين ، وسمّاها فرقانا قال تعالى : " وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (١).

فرق الله بها بين الحق والباطل بأن نصر النبي محمد ﷺ والمسلمين ، وخذل القوم الكافرين .

ويجب أن نعرف أن الدعوة الإسلامية مرّت بمراحل وبأطوار انتقلت فيها من طور إلى طور، ولكون أعدائها يتربصون بها الدوائر ويقفون حجر عثرة في طريقها ويشنون حربا شعواء عليها بدءاً من حرب الأذى على النبي ﷺ وصحابته المسلمين الأوائل كبلال وآل ياسر وغيرهم .

---

( ١ ) سورة الأنفال ، آية ٣١ .

وما لقيه النبي ﷺ في الطائف من سخرية وإيذاء ، وكذلك ما لقيته الدعوة من حرب إعلامية ونفسية تبتّ في موسم الحج مع الوفود القادمة إلى مكة ووشاية مع النجاشي في الحبشة.

ومن حرب اقتصادية تتمثل في المقاطعة بشعب بني عامر، وتعليق صحيفة القطيعة ومصادرة أموال المهاجرين في مكة ، ذلك كان سبباً في الإذن بالدفاع عن النفس والمال والدعوة .

والمرحلة الأولى لم يؤذن فيها بالقتال لأنها مرحلة إعداد وتربية للفرد المسلم ، ولأن الدعوة الإسلامية تبدأ بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم إن هناك حذر من وقوع القتال بين الأسرة الواحدة ، بين الإبن وأبيه والأخ وأخيه ، ولكن بعد استنفاد جميع الوسائل التي يمكن أن تشق الدعوة الإسلامية طريقها بأمان ، ويعيش المسلمون وهم يمارسون شعائرهم باطمئنان أذن الله بالقتال ، قال تعالى : " أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ <sup>(١)</sup> " .

هذه مقدمة نجعلها مدخلا لقصة أحداث الغزوة التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة ، وكان سببها أن النبي ﷺ بلغه أن أبا سفيان قد توجه من الشام إلى مكة بغير قريش ، فدعا أصحابه إلى الخروج إليه لأخذ العير ، لأن قريشا حرب لرسول الله ﷺ وأصحابه ليس فيما بينهم عهد ، وقد أخرجوهم من ديارهم وأموالهم وقاموا ضد دعوتهم دعوة الحق ، فكانوا مستحقين لما أراد النبي ﷺ وأصحابه بغيرهم فخرج النبي ﷺ وأصحابه في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً على فرسين وسبعين بعيراً يتعاقبونها، منهم سبعون رجلاً من المهاجرين ، والباقيون من الأنصار يقصدون العير لا يريدون الحرب ، ولكن الله جمع بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ليقضي الله أمراً كان

---

( ١ ) سورة الحج ، آية ٣٩ .

مفعولاً ويتمّ ما أراد ، فإن أبا سفيانَ علّمَ بهم فبعث صارخاً على قريش يستنجدهم ليحمّوا غيرهم وترك الطريق المعتادة وسلك ساحل البحر فنجا .

أما قريش فإنه لما جاءهم الصارخُ خرجوا بأشرافهم عن بكرة أبيهم في نحو ألف رجل معهم مئة فرس وسبعمائة بعير (بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ<sup>(١)</sup>) ومعهم القيان يغنين بهجاء المسلمين ، فلما علم أبو سفيان بخروجهم بعث إليهم يخبرهم بنجاته ، ويشير عليهم بالرجوع وعدم الحرب فأبوا ذلك وقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نبلغ بدرًا ونقيم فيه ثلاثاً ، ننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً ..

أما رسول الله ﷺ فإنه لما علم بخروج قريش جمع من معه من الصحابة فاستشارهم وقال : إن الله قد وعدني إحدى الطائفتين إما العير أو الجيش ، فقام المقداد بن الأسود وكان من المهاجرين وقال : يا رسول الله إمض لما أمرك الله ﷻ فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ<sup>(٢)</sup>) ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ، وقام سعد بن معاذ الأنصاري سيد الأوس فقال : يا رسول الله لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا تنصرك إلا في ديارهم ، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاطعن حيث شئت ، وصل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت ، خذ من أموالنا ما شئت ، واعطنا منها ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا فيه تبع لأمرك ، فو الله لئن سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك ، ولئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً ، فإننا لصبر عند الحرب ، صدق عند

١ ( سورة الأنفال ، آية ٤٧ .

٢ ( سورة المائدة ، آية ٢٤ .

اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسرّ النبي ﷺ لما سمع من كلام المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وقال : " سيروا وأبشروا فو الله لكأني أنظر إلى مصارع القوم " ، فسار النبي ﷺ بجنود الرحمن حتى نزلوا أدنى ماء من مياه بدر ، فقال له الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال النبي ﷺ : " بل هو الرأي والحرب والمكيدة " ، فقال : يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب ، ثم بنى عليه حوضاً فتملأه فشرب ولا يشربون ، فاستحسن النبي ﷺ هذا الرأي ، ونهض فنزل بالعدوة الدنيا مما يلي المدينة ، وقرش بالعدوة القصوى مما يلي مكة ، وأنزل الله تلك الليلة مطراً كان على المشركين وابلاً شديداً ووحلاً زلقاً يمنعهم من التقدم ، وكان على المسلمين طلاً طهرهم ووطاً لهم الأرض وشدّ الرمل ومهد المنزل وثبت الأقدام ، وبنى المسلمون لرسول الله ﷺ عريشاً على تلّ مشرف على ميدان الحرب ، ثم نزل ﷺ من العريش فسوى صفوف أصحابه ، ومشى في موضع المعركة ، وجعل يشير بيده إلى مصارع المشركين ، ومحلات قتلهم يقول : " هذا مصرع فلان إن شاء الله ، هذا مصرع فلان " ، فما جاوز أحد منهم موضع إشارته ، ثم نظر ﷺ إلى أصحابه وإلى قرش فقال : " اللهم هذه قرش جاءت بفخرها وخيلائها وخيلها تحاذك وتكذب رسولك ، اللهم نصرّك الذي وعدتني ، اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد ، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد " ، واستنصر المسلمون بربهم واستغاثوا به فاستجاب لهم (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ

النَّارِ (١) ، ثم تقابل الجمعان ، وحمي الوطيس واستدارت رحى الحرب ، ورسول الله ﷺ في العريش ، ومعه أبو بكر وسعد بن معاذ يحرساه ، فما زال ﷺ يناشد ربه ويستنصره ويستغيثه ، فأغفى إغفاءة ثم خرج يقول (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) (٢) ، وحرّض أصحابه على القتال وقال : " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة " ، فقام عمير بن الحمام الأنصاري ويده تمرات يأكلهن فقال : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال النبي ﷺ : نعم : قال : بخ بخ يا رسول الله ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة ثم ألقى التمرات وقاتل حتى قتل رضي الله عنه .

وأخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب أو حصاً فرمى بها القوم فأصابته أعينهم فما منهم واحد إلا ملأت عينه وشغلوا بالتراب في أعينهم ، وتلك آية من آيات الله ﷻ ، فهزم جمع المشركين وولّوا الأدبار ، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، قتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين ، أما القتلى فألقي منهم أربعة وعشرون رجلاً من صناديدهم في قليب من قليب بدر ، منهم أبو جهل وشيبة بن ربيعة وأخوه عتبة وابنه الوليد بن عتبة ، وفي صحيح البخاري : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ استقبل الكعبة فدعا على هؤلاء الأربعة قال : فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً ، وفيه أيضاً عن أبي طلحة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فخذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مُحْبَث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصَةِ ثلاث ليال ، فلما كان بيدر اليوم الثالث أَمَرَ براجلته فشُدَّ عليها ثم مَشَى وَاتَّبَعَهُ أصحابه حتى قام على شَفَةِ الركي فجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم " يا فلانُ ابنَ فلانُ ويا فلان

١ ( سورة الأنفال ، آية ١٤ .

٢ ( سورة القمر ، آية ٤٥ .

بن فلان أيسرُكم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنما قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قال عمرُ : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ قال رسول الله ﷺ : " والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم "

وأما الأسرى فإن النبي ﷺ استشار الصحابة فيهم ، وكان سعد بن معاذ قد ساءه أمرهم وقال : كانت أول وقعة أوقعها الله في المشركين ، وكان الإثخان في الحرب أحب إلي من استبقاء الرجال ، وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه للنبي ﷺ : أرى أن تمكّننا فنضرب أعناقهم ، فتمكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكّنني من فلان يعني قريباً له فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

وقال أبو بكر رضي الله عنه : هم بنو العم والعشيرة وأرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فأخذ النبي ﷺ الفدية ، فكان أكثرهم يفتدي بالمال من أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم ، ومنهم من افتدى بتعليم صبيان أهل المدينة الكتابة والقراءة ، ومنهم من كان فداؤه إطلاق مأسور عند قريش من المسلمين ، ومنهم من قتله النبي ﷺ صبراً لشدة أذيته ، ومنهم من من عليه بدون فداء للمصلحة .

هذه قصة غزوة بدر الكبرى ، فيها دروس مستفادة وعبر واضحة ، فيها العزيمة والمضاء وقوة الإرادة ، ونصرة الحق وخذلان الباطل وإزهاقه ، وفيها التضحية والفداء .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس التاسع عشر

### " الاعتكاف "

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه  
وبعد :

فالاعتكاف هو مصدر اعتكف ، ويعني ملازمة المرء للشيء وحبسه نفسه عليه  
قال تعالى : " يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ (١) " .  
وشرعاً : المكث في بيت الله تقرباً إليه .  
وهو من الشرائع القديمة قال تعالى : " وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ  
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢) " .

### مشروعيته في الإسلام :

ثبتت مشروعية الإعتكاف فيما ورد ذكره في كتاب الله تعالى ومن سنته ﷺ قال  
تعالى : " وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ (٣) " .  
واعتكف رسول الله ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان النبي ﷺ يعتكف  
العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ﷻ ثم اعتكف أزواجه بعده " .

### أقسامه :

١. واجب وهو المنذور به ، قال عمر - رضي الله عنه - يا رسول الله إني نذرت أن  
أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال النبي ﷺ : " أوف بنذرك " .
٢. سنة وهو في العشر الأواخر من رمضان .

---

١ ( سورة الأعراف، آية ١٣٨ .

٢ ( سورة البقرة، آية ١٢ .

٣ ( سورة البقرة، آية ١٨٧ .

٣. مستحب وهو ما كان في غير رمضان وشرطه الصيام.

### شروطه :

١. النية للحديث الشريف : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " .
٢. ترك مباشرة النساء لقوله تعالى : " وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ " ، ولا بأس بحديث المعتكف مع أهله إذا كان فيه مصلحة ، لحديثه ﷺ مع زوجته صفية .
٣. كونه في مسجد لقوله تعالى " وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ " واستحب في المسجد الجامع ، حتى لا يخرج المعتكف لصلاة الجمعة ، فالجامع تتحقق فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة .
٤. الطهارة من الجنابة والحيض والنفاس ، لقوله تعالى " وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا (١) " .
٥. الصوم إذا كان الاعتكاف في غير رمضان.

### محضورات الإعتكاف:

١. الخروج من المعتكف إلا لضرورة .
٢. المباشرة الجنسية لقوله تعالى : " وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ (٢) " .

### آداب الإعتكاف :

لما كان المقصود من الإعتكاف الإنقطاع عن الناس والتفرغ لطاعة الله كان على المعتكف أن يلازم :

---

١ ( سورة النساء ، آية ٣٤ .  
٢ ( سورة البقرة ، آية ١٨٧ .

١. الاشتغال بذكر الله تعالى ودعائه .
٢. تلاوة القرآن الكريم .
٣. الإكثار من النوافل .
٤. تجنب ما لا يعنيه من أحاديث الدنيا قدر المستطاع .
٥. وليشغل نفسه بذكر الله تعالى فإنه خير شاغل ، فهو حياة القلوب ، ونورها الذي تستضيء به .

قال ﷺ : " أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله " .  
 وقال : " جددوا إيمانكم " قالوا : كيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله " .

ومن الذكر الإستغفار من الذنوب ، وطلب العفو من عالم الغيوب ، قال ﷺ : " ألا أدلكم على داءكم ودوائكم ؟ ألا إن داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار " .  
 وقال : " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب " .

وقال : " من أحب أن تسره صحيفته فليكثر من الاستغفار " .  
 وفي حديث آخر : " إن للقلوب صدا كصد النحاس وجلأؤها الاستغفار " .  
 وخير ما يختم به في هذا المجال قوله تعالى حاثا على الإستغفار ومبينا آثاره وفوائده :  
 " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " (١)

إنَّ الاعتكاف رباط لطلب الأجر والثواب ، وترك لملهيّات الحياة وشواغلها ، وإقبال على الله تعالى ، واتصال به ، فمن أراد الخير وجوامع الخير والمنازل العُلى فليغتتم هذه الفرصة السانحة في هذا الشهر المبارك " ولكل درجات مما عملوا " .

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس العشرون

### " العشر الأواخر من رمضان "

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فأيها الأحبة في الله ، هذا شهر رمضان تتسارع أيامه ، وتنقضي لياليه ، ونحن على أعتاب العشر الأواخر منه ، وقد مرّت علينا العشر الأوائل والعشر الأوسط ، وهي محطات تزوّدنا منها وقود الإيمان ، وأخذنا من أسواقها متاع الفضل والإحسان ، شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النيران .

ماذا أعددتنا للأيام الأخيرة منه ؟ ، هل نجعلها تمرّ هكذا بسرعة ؟ ، مستثقلين ومتمنين انتهاءه ، هل سئمتنا حلوله علينا؟ وهو الضيف الحبيب ، والنزيل القريب ، يفيض علينا من خيراته ، ويغدقنا ببركاته ، تشعّ علينا أنواره ، وتبهجنا عطاياه وأسراره .

أليس لنا في نبينا المصطفى ﷺ قدوة ؟ وفي رسولنا الحبيب أسوة ؟ ، اسمعوا ماذا تقوله السيدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فيه : " كان يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره " .

والإجتهاد هنا هو بذل الوسع والطاقة في العبادة ، وقالت أيضا رضي الله عنها : " كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم ، فإذا كان العشر شمرّ وشدّ المنزر ، وفي الصحيحين عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدّ منزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله .

وشدّ المنزر كناية عن الإستعداد للعبادة وترك ما يشغل عنها .  
وأحيا ليله بالصلاة والذكر وغيرها ، قالت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " لا أعلم رسول الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة ، ولا قام ليلة حتى الصباح ، ولا صام شهرا كاملا قطّ غير رمضان " .

وأيقظ أهله لكي يغتنموا العبادة والطاعة في ذلك الوقت اللطيف ، الذي يغفل عنه الكثير ، ويؤثرون النوم في الفراش الوثير ، ورسول الله ﷺ يوقظ أهله للعبادة في رمضان وغيره ، لكن في رمضان أخصّ وأحرص .

ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال : " سبحان الله ! ما ذا أنزل الليلة من الفتنة ؟! ماذا أنزل من الخزائن ؟! ، من يوقظ صواحب الحجرات ؟ ، يا رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة " .

وفيه أيضا أنه كان ﷺ يوقظ عائشة رضي الله عنها إذا أراد أن يوتر .  
**ومن مميزات هذه العشر** أن النبي ﷺ يعتكف فيها ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ، ثم اعتكف العشر الأوسط ، ثم قال : "إني أعتكف العشر الأول ألتمس هذه الليلة ، ثم أعتكف العشر الأوسط ، ثم أتيت فليل لي : إنها في العشر الأواخر ، فمن أحبّ منكم أن يعتكف فليعتكف " .

**ومن خصوصيات هذه العشر** ما تحويه من ليلة مباركة عظيمة ، ألا وهي ليلة القدر .

إذن دعني أيها الصائم القائم أن أهمس في أذنيك مذكرا بعظم هذا الأمر ، فأنت في أيام غير عادية ، لها امتياز وأعلى درجات التقدير ، فخذ منها شهادة تفوّق ، في دورة قد لا تتكرّر عليك ، مقرّراتها سهلة ، ومنهجها ميسّر ، وأسلوبها جميل ، استعن بالله وادخل فيها بأريحية ونشاط ومثابرة ، واحرص على عدم التخلف عنها

لحظة واحدة ، اجعل شعارك " السعي إلى الجنة " ، من طريق الطاعة والعبادة  
واتباع أمر الله فيما أمر ، واجتناب نهيه فيما حذر وزجر.

تقبّل الله مني ومنك الصيام والقيام.

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الحادي والعشرون

### " ليلة القدر "

الحمد لله الذي فضّل ليلة القدر على سائر الليالي وجعلها مباركة ، والصلاة والسلام على الصائم القائم الذاكر الشاكر ، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار والتابعين لهم مدى الليل والنهار وبعد :

فأيها الأحبة في الله ، لماذا صار رمضان عظيماً منزلته رفيعة ودرجته كبيرة ؟، إنه لمزايه الواسعة ، وعطاياه الجامعة ، ومن أعظم ما يمتاز به كون ليلة القدر فيه ، وهي ليلة ذات شرف وأجر ، ومكانة وقدر .

قال تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (١) " .

سميت بهذا الاسم لعلوّ قدرها وعظم شأنها .

وقيل : إن الله يقدر فيها أمور خلقه من حياة وموت ورزق .

وقيل : إنّ الأرض تضيق تلك الليلة من كثرة الملائكة ومنه قوله تعالى : " وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ (٢) " .

وقيل : إن الله ﷻ يقدر فيها المنهج الذي يسير عليه المصطفى ﷺ في دعوته .

قال تعالى في حق هذه الليلة : " حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٣) " ، وُصِفَتْ بأنها ذات قدر وشرف ورفعة ، وبأنها مباركة ، وبأنها سلام على المؤمنين

ويضاعف فيها الأجر قال ﷻ : " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

١ ( سورة القدر ، آية ٢ .

٢ ( سورة الفجر ، آية ١٦ .

٣ ( سورة الدخان ، آية ٥ .

فعلى المسلم أن يغتنمها بالقيام صلاة ودعاء وذكر ، سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ ماذا تقول تلك الليلة من الدعاء إن رأتها ؟ .

فقال لها : قولي " اللهم إني أعفوّ تحبّ العفو فاعف عني " .

وكان ﷺ يعتكف في العشر الأواخر طلباً لهذه الليلة فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : " إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وشدّ المنزر " .

وقال ﷺ : " مَنْ اعتكف معي فليعتكف في العشر الأواخر " .

واعتكف ﷺ في العشر الأوائل ثم في العشر الأوسط ، ف قيل له : " إنَّ الذي تطلب أمامك " أي قال له جبريل عليه السلام .

وقال ﷺ : " تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان " .

وعن عبادة بن الصامت قال : قال ﷺ : " خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة " ، أي في التاسعة والعشرين والسابعة والعشرين والخامسة والعشرين .

وقال : " أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها " .

ويجمع بين الحديثين أنه ﷺ أيقظه بعض أهله ثم ذهب إلى المسجد فرأى الرجلين يتخاصمان ، وكان كلُّ ذلك سبباً في النسيان لحكمة أرادها الله سبحانه .

قال تعالى : " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قَرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون " .

**ومن العلامات التي تعرف بها ليلة القدر:**

١. من حديث أبي بن كعب . رضي الله عنه . أنَّ النبي ﷺ أخبر أنَّ من علاماتها أنَّ الشمس تطلع من صبيحتها لا شعاع لها .

٢. من حديث واثلة بن الأسقع . رضي الله عنه . أنَّ النبي ﷺ قال : " ليلة القدر ليلة بلّجة ، لا حارّة ولا باردة ، لا يُرمى فيها بنجم " .

بَلَجَة : مضيئة .

لا يرمى فيها بنجم : لا تُرسلُ فيها الشهب .

٣. من حديث ابن عباس . رضي الله عنهما . أنَّ النبي ﷺ قال : " ليلة القدر ليلة طُلُقة ، لا حارّة ولا باردة ، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة " .

### وفي سورة القدر فضائل متعدّدة لليلة القدر :

١. أنَّ الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة .  
٢. ما يدلّ على الإستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله : " وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ "(١)

٣. أنها خير من ألف شهر ( أكثر من ثلاث وثمانين سنة ) .  
٤. أنَّ الملائكة تنزل فيها ، وهم لا ينزلون إلّا بالخير والبركة والرحمة .  
٥. أنها سلام لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب ، بما يقوم به العبد من طاعة الله ﷻ .

٦. أنَّ الله أنزل في فضلها سورة كاملة تُتلى إلى يوم القيامة .  
هذه بعض فضائل هذه الليلة الشريفة ، فليحرص العاقل على نفحات الخير ، لكي يشملته القرب من الله ، في يوم يفوز فيه السابقون ، ويسعد فيه المقربون .

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الثاني والعشرون

### " فريضة الزكاة "

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتمهم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فإن الزكاة فريضة من فرائض الدين ، وركن من أركانه ودعامة من دعائمه ، وهي أخت الصلاة ، قرنها الحق سبحانه وتعالى بالصلاة في كثير من آياته ، وفرضيتها ثابتة من الكتاب والسنة والإجماع .

قال تعالى : " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (١) " .

وقال : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٢) " .

وقال أيضا مخاطبا نبيه محمدا ﷺ : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا (٣) " .

ومن السنة قوله ﷺ : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان " وفي حديث جبريل عليه السلام " ما الإسلام ؟ فقال النبي ﷺ : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " .

١ ( سورة البقرة ، آية ٥٦ .

٢ ( سورة البينة ، آية ٥ .

٣ ( سورة التوبة ، آية ١٠٣ .

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل حينما بعث إلى اليمن : "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ."

### الحثّ على أدائها :

وقد ورد الحثّ على أدائها في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومن ذلك :

قوله تعالى : " وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ <sup>(١)</sup> " وقوله " وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ <sup>(٢)</sup> " .

ومن السنة قوله صلى ﷺ : " وما منعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا " وقوله : " لا صلاة لمانع الزكاة - قالها ثلاثا - والمتعدي فيها كمانعها " .

وقوله أيضاً في الحديث الذي رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة من أهل اليمن أتت رسول الله وبناتها ، في يد ابنتها مسكتان من ذهب ، فقال : " أتؤدين زكاة هذا ؟ ، قالت : لا ، قال : " أيسرك أن يسورك الله ويحكّ بهما يوم القيامة سوارين من نار " ، قال : فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ فقالت : هما لله ولرسوله ﷺ .

١ ( سورة النور ، آية ٣٣ .  
٢ ( سورة الحديد ، آية ٧ .

وقد رأى ﷺ فتحات في يد عائشة فقال لها : ما هذا ؟ فقالت : صنعتهنّ أتزيّن لك يا رسول الله قال : أتؤدّين زكّاهنّ ؟ قالت : لا ، أو ما شاء الله ، قال : هو حسبك من النار .

### فضائلها :

١. تدفع الشح عن النفس قال تعالى : " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١) " .

وقال ﷺ : " وإياكم والشحّ ، فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم " .

٢. طهر وبركة ونماء :

قال تعالى : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا " (٢) .

وقال : " وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣) " .

٣. من صفات المؤمنين : " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ " (٤) .

٤. من صفات المتقين : " كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٥) " .

---

١ ( سورة الحشر ، آية ٩ .  
٢ ( سورة التوبة ، آية ١٠٣ .  
٣ ( سورة الروم ، آية ٣٩ .  
٤ ( سورة المؤمنون ، آية ١ .  
٥ ( سورة الذاريات ، آية ١٩ .

٥. من أسباب التمكين في الأرض : " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (١) .

### الأصناف التي تجب فيها الزكاة :

١. الخارج من الأرض من الحبوب والثمار المقتات المدخر قال تعالى: " يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ (٢) " .  
وقال : " وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ (٣) " .

ولا يشترط فيه الحول .

قال ﷺ: " فيما سَقَتِ السماء والعيون العشر ، وفيما سقي بالدوالي والغرب نصف العشر " .

وقال : " ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة " والوسق ستون صاعا، والصاع ألفان وأربعون غراما .

أما غير المقتات والمدخر كالخضروات والفاكهة والبقوليات فلا زكاة فيها.

قال عمر رضي الله عنه : ليس في الخضروات صدقة .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ليس في التفاح وما أشبهه صدقة .

٢. بهيمة الأنعام ( الإبل والغنم والبقر) السائمة التي لا يعلفها صاحبها ، وإنما تغدو وتروح في المرعى ، فإذا كان مالكها يعلفها فلا زكاة فيها .

٣. الذهب والفضة وكذلك النقود الورقية، لأنها عملات صارت بديلة لعملتي الذهب والفضة .

١ ( سورة الحج ، آية ٤٠ - ٤١ .

٢ ( سورة البقرة ، آية ٢٦٧ .

٣ ( سورة الأنعام ، آية ١٤١ .

٤. عروض التجارة بأنواعها من مأكولات أو مشروبات أو ملبوسات أو مواد بناء أو مصانع وغير ذلك ، أمّا آلات المصنع وحدها كمصنع للأبواب والنوافذ فإن الزكاة لا تلزم في مكائن التصنيع وإنما في ما تنتجه .

ونصاب الصنفين الثالث والرابع متحد وهو ربع العشر .  
فالذهب نصابه عشرون ديناراً والدينار مثقال ، والمثقال أربعة غرامات وربع أي (٨٥ غرام) .

ونصاب الفضة خمس أواق والأوقية أربعون درهما والمجموع مائتا درهم أي (٥٩٥ غرام) .

فليحرص المسلم على أداء زكاة أمواله ، قبل أن تصير وبالاً عليه ، يجمعها بالحرص ، وينتفع بها غيره من بعده وله الوزر ، فالمال مال الله ، والإنسان مستخلف فيه ، فمخرج الزكاة تقيّ ، ومانعها شقيّ والعياذ بالله .

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الثالث والعشرون

### " فتح مكة "

الحمد لله الذي فتح بالفتح على الإسلام أبوابه ، ونصر محمداً وأصحابه ، فدخل الناس في دين الله أفواجا ، استناروا بهديه طريقا ومنهاجا ، صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فأيها الإخوة الكرام هذا شهر رمضان المبارك شهر الانتصارات والفتوحات الإسلامية ، فمن ذكريات هذا الشهر فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة من الهجرة ، كان فتحا مباركا تطهرت مكة فيه من الوثنيّات والشركيّات ، فكسرت الأصنام ، وارتفعت كلمة التوحيد وشعار الإسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فله الحمد والمنة ويحسن بنا أن نعرف كيف كان هذا الفتح والنصر وما أسبابه ؟ ، حتى نأخذ بها ونجعلها منهجاً إن ابتغينا العزة والنصر قال تعالى : " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ (١) " .

إنه لما تمّ الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش في الحُدَيْبِيَّة في السنة السّادسة كان مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَلَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ فَعَلَ ، فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش ، وكان بين القبيلتين دماء في الجاهليّة فانتَهَزَتْ بنو بكر هذه الهدنة فأغارَتْ على خزاعة وهم آمنون ، وأعانت قريشُ حلفاءها بني بكر بالرجال والسّلاح سرّاً على خزاعة حلفاء

---

( ١ ) سورة الحج ، آية ٤٠ .

النبي ﷺ ، فقدم جماعة منهم على النبي ﷺ فأخبروه بما صَنَعَتْ بنو بكر وإعانة قريش لها ، فقال النبي ﷺ: " لَأَمْنَعَنَّكُمْ مما أَمْنَعُ نَفْسِي منه " .

أَمَّا قريش فسُقِطَ في أيديهم ورَأَوْا أَنَّهُمْ بفعلهم هذا نَقَضُوا عَهْدَهُمْ فَأَرْسَلُوا زعيمهم أَبَا سُفْيَانَ إلى رسول الله ﷺ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ، فلم يَرُدَّ عليه ثم أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ لِيَشْفَعَا لَهُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ ، فلم يُفْلَحْ ، ثم كَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فلم يُفْلَحْ أَيضًا ، فقال له : مَا تَرَى يَا أَبَا الْحَسَنِ قَالَ : مَا أَرَى شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ فَقُمْ فَأَجِرْ بَيْنَ النَّاسِ قَالَ : أَمَا تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا قَالَ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ مَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَهُ ففَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ ، ثم رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَتْ لَهُ قريشٌ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : أَتَيْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ فَوَلَّى اللَّهُ مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ، ثم أَتَيْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ وَابْنَ الْخَطَّابِ فلم أَجِدْ خَيْرًا ، ثم أَتَيْتُ عَلِيًّا فَأَشَارَ عَلِيٌّ بِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ ، أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، قالوا فهل أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : لَا ، قالوا وَيَحْكُ ، مَا زَادَ الرَّجُلُ ( يَعْنُونَ عَلِيًّا ) أَنْ لَعَبَ بِكَ .

وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّجَهُّزِ لِلْقِتَالِ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا يُرِيدُ وَاسْتَنْفَرَ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْقِبَائِلِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ خُذِ الْأَخْبَارَ وَالْعُيُونَ عَنْ قريشٍ حَتَّى نَبْغَتْهَا فِي بِلَادِهَا ، ثم خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ بِنَحْوِ عَشْرَةِ آلَافٍ مَقَاتِلَ ، وَوَلَّى عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ لَقِيَهُ فِي الْجَحْفَةِ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُهَاجِرًا مُسْلِمًا ، وَفِي مَكَانٍ يَسْمَى الْأَبْوَاءَ لَقِيَهُ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَابْنُ عَمَّتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَا مِنْ أَشَدِّ أَعْدَائِهِ فَأَسْلَمَا فَقَبِلَ مِنْهُمَا ، وَقَالَ فِي أَبِي سُفْيَانَ : أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلْفًا مِنْ حَمْرَةٍ .

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ مَكَانًا يَسْمَى "مَرَّ الظُّهْرَانِ" قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ أَمَرَ الْجَيْشَ فَأَوْقَدُوا عَشْرَةَ آلَافٍ نَارَ ، وَجَعَلَ عَلَى الْحَرَسِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَرَكِبَ الْعَبَّاسُ بَغْلَةَ النَّبِيِّ ﷺ لِيَلْتَمَسَ أَحَدًا يُبْلَغُ قَرِيشًا لِيُخْرِجُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ  
فِيَطْلُبُوا الْأَمَانَ مِنْهُ وَلَا يَحْصُلَ الْقِتَالُ فِي مَكَّةَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ سَمِعَ  
كَلَامَ أَبِي سَفْيَانَ يَقُولُ لِبَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرَانًا قَطُّ ، فَقَالَ بَدِيلُ  
هَذِهِ خَزَاعَةُ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : خَزَاعَةُ أَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ وَأَذَلُّ ، فَعَرَفَ الْعَبَّاسُ صَوْتَ  
أَبِي سَفْيَانَ فَنَادَاهُ فَقَالَ : مَا لَكَ أَبَا الْفَضْلِ ؟ قَالَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ قَالَ فَمَا  
الْحِيلَةُ ؟ قَالَ الْعَبَّاسُ : أَرْكَبُ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ  
ﷺ فَقَالَ : " وَيْحَكَ يَا أَبَا سَفْيَانَ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " ، فَقَالَ بِأَبِي  
أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَأَغْنَى  
عَنِّي ، قَالَ : " أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " فَتَلَكَّأَ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ  
: وَيْحَكَ أَسْلَمْتُ فَأَسْلَمَ ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَبَّاسَ أَنْ يُوَقِفَ أَبَا  
سَفْيَانَ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ حَتَّى يَمُرَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ ، فَامْرَتْ بِهِ الْقِبَائِلُ  
عَلَى رَايَاتِهَا ، مَا تَمَرَّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا سَأَلَ عَنْهَا الْعَبَّاسُ فَيُخْبِرُهُ فَيَقُولُ : مَا لِي وَلَهَا ، حَتَّى  
أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ الْعَبَّاسُ : هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ  
سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ ، فَلَمَّا حَازَاهُ سَعْدُ قَالَ : أَبَا سَفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ،  
الْيَوْمَ تَسْتَحِلُّ الْكَعْبَةَ .

ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقْلُ الْكَتَائِبِ وَأَجَلُّهَا فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَرَايَتُهُ  
مَعَ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سَفْيَانَ أَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ سَعْدُ فَقَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ : " كَذَبَ سَعْدٌ وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يَعْظُمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تَكْسَى فِيهِ  
الْكَعْبَةُ " ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَأْخُذَ الرَّايَةَ مِنْ سَعْدٍ وَتُدْفَعَ إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ وَرَأَى أَنَّهَا  
لَمْ تَخْرُجْ عَنْ سَعْدٍ خُرُوجًا كَامِلًا إِذَا صَارَتْ إِلَى ابْنِهِ .

ثم مضى ﷺ وأمر أن تركز رايته بالحجون ، ثم دخل مكة فاتحاً مؤزراً منصوراً قد طأطأ رأسه تواضعاً لله ﷻ ، حتى إن جبهته تكاد تمس رحله وهو يقرأ " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) " ويرجعها .

وبعث ﷺ على إحدى المجنبتين خالد بن الوليد وعلى الأخرى الزبير بن العوام وقال: " من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل بيته وأغلق بابه فهو آمن " ، ثم مضى رسول ﷺ حتى أتى المسجد الحرام فطاف به على راحلته وكان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم ، فجعل ﷺ يطعنها بقوس معه ويقول: " وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٢) " ، " قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٣) " ، والأصنام تتساقط على وجوهها .

ثم دخل ﷺ الكعبة فإذا فيها صور فأمر بها فمحييت ثم صلى فيها ، فلما فرغ دار فيها وكبر في نواحيها ووحّد الله ﷻ ، ثم وقف على باب الكعبة وقريش تحته ينتظرون ما يفعل ، فأخذ بعضادتي الباب وقال : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب " يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٤) " يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته " قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٥) " إذهبوا فأنتم الطلقاء " .

١ ( سورة الفتح ، آية ١ .

٢ ( سورة الإسراء ، آية ٨١ .

٣ ( سورة الإسراء ، آية ٤٩ .

٤ ( سورة الحجرات ، آية ١٣ .

٥ ( سورة يوسف ، آية ٩٢ .

ولما كان اليوم الثاني من الفتح قام النبي ﷺ خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : "إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعصد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب " .

وكانت الساعة التي أحلت فيها لرسول ﷺ من طلوع الشمس إلى صلاة العصر يوم الفتح ، ثم أقام ﷺ تسعة عشر يوماً بمكة يقصر الصلاة ، أقام كذلك لتوطيد التوحيد ودعائم الإسلام وتثبيت الإيمان ومبايعة الناس ، وفي الصحيح : عن مجاشع قال أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح ليبايعه على الهجرة فقال ﷺ : "ذهب أهل الهجرة بما فيها ، ولكن أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد" .

إن النصر الذي تحقق للمسلمين في غزوة بدر وفتح مكة وغيرها راجع إلى الأخذ بالأسباب ، ومن أخذ بها فالنصر حليفه وعدا من الله تعالى حيث يقول : " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (١) " .

ومن دعائه ﷺ : " اللهم نصرك الذي وعدتني " .

قال تعالى : " وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٢) " .

نصرهم الله لأنهم قائمون بدينه ، وهو الظاهر على الأديان كلها ، قال تعالى : " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣) " .

نصرهم الله لأنهم قاموا بأسباب النصر الحقيقية منها والمعنوية :

( ١ ) سورة غافر ، آية ٥١ .

( ٢ ) سورة الروم ، آية ٤٧ .

( ٣ ) سورة التوبة ، آية ٩ .

أ . فكان عندهم العزم امثالاً لأمر الله تعالى : " وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمَسُّنَا قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ (١) " .

وقال تعالى : " فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٢) " .

ب . أخذوا بكل نصيب من القوة قال تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ (٣) " .

ج . نصرهم الله لأنهم نصره حين طبّقوا تعاليمه قال تعالى : " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤) " .

فهنا مؤكّدات لفظية : هي القسم المقدّر ، والله لينصرن " وكذلك اللام والنون ، ومؤكّدات معنوية : " إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " فهو قوي لا يضعف ، عزيز لا يذل ، وكل قوة تضاده ستضعف وتذل .

وفي الآية أوصاف يتحلّى بها المؤمن بعد التمكين في الأرض ، وبها استحق النصر وهي :

١ . إقامة الصلاة ، والتمكين لا يكون إلا بعد تحقيق عبادة الله " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥) " .

١ ( سورة آل عمران ، آية ١٣٩ .

٢ ( سورة محمد ، آية ٣٥ .

٣ ( سورة الأنفال ، آية ٦٠ .

٤ ( سورة الأنفال ، آية ٤٠-٤١ .

٥ ( سورة النور ، آية ٥٥ .

٢. إيتاء الزكاة .

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما دعامتان لبناء الأمة وعزتها وهما من فرائض الدين : " وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١) " .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الرابع والعشرون

### " شهر الجود والعطاء والإحسان "

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإخواني في الله هذا شهر العطاء والجود والإحسان ، والبرّ والصدقة والإنفاق ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : " كان الرسول ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، فلرسول ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة " وسبق في حديثه ﷺ : " من فطّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتقاً لرقبته من النار " .

لقد حث الله تعالى على الخير عموماً فقال : " وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (١) ، ووصف المتقين بقوله : " وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " (٢) .

ووعده بمضاعفة أجر الصدقة فقال تعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " (٣) .

وقال تعالى : " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً " (٤) .

١ ( سورة المزمل ، آية ٢٠ .

٢ ( سورة الذاريات ، آية ١٩ .

٣ ( سورة البقرة ، آية ٢٦١ .

٤ ( سورة البقرة ، آية ٢٤٥ .

وفي الحديث الشريف : " إن العبد إذا تصدق من طيب تقبلها الله منه ، وأخذها بيمينه فربّاهما كما يربّي أحدكم فلوّه ، حتى تكون مثل الجبل " .

الْقُلُوبُ : بفتح الفاء وضمّ اللام وتشديد الواو هو ولد الحصان ويسمّى : المهر بضمّ الميم .

بمعنى أنّ الإنسان يفرح بحصانه الصغير هذا ويعتني به وبتربته ، حتى إذا كبر ازداد فرحه .

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| فالمال عارية والعمر رحال    | الله أعطاك فابذل من عطيته   |
| يأسن وإن يجر يعذب منه سلسال | المال كالماء إن تحبس سواقيه |

إنّ المنفق بإخلاص وأريحية لا يخشى الإقلال والفقر وقلة المال ففي الحديث الشريف : " إن الله ملكين يناديان في كل صباح يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : " اللهم أعط ممسكاً تلفاً " .

ومن ثمار الصدقة كما ورد في الأحاديث الشريفة :

- " الصدقة تسدّ سبعين باباً من السوء " .
- " اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإنها تقيم العوج ، وتدفع ميتة السوء ، وتقع من الجائع موقعها من الشبعان " .
- " تصدقوا فإن الصدقة فكاك من النار " .
- " إن صدقة المسلم تزيد في العمر ، وتمنع ميتة السوء ، ويذهب الله بها الكبير والفخر " .

كما أن الصدقة يدفع الله بها البلاء والأمراض والعاهات ويشفي بها المرضى ، قال ﷺ : " باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها " ، وقال : " داووا مرضاكم بالصدقات " .

وقد سمعت من شيخنا الخليلي . حفظه الله . أن مريضاً بالسرطان شفاه الله بالصدقة ، بعدما آيسه الأطباء من الشفاء ، وكان قد خطب امرأة فلما جاءه المرض أراد التأخير عن الزواج فأبت خطيبته ذلك ، وقالت له : تزوجني ولو تبقى ليلة واحدة ، فتزوجها وبقي معها سنينا وولدت له أولادا عدة .

الصدقة تكون ظلاً على صاحبها يوم القيامة ، يستظل بها من شدة الهول والخوف والحساب .

ففي الحديث الشريف : " كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس " .

والإنسان لا يحتقر ما يقدمه من صدقة ، كل حسب استطاعته ومقدرته ، يؤجر على القليل ويؤجر على الكثير ، قال تعالى : " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " (١) ، وفي الحديث الشريف : " اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة " ، وروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه دخل عليها مسكين وبين يديها عنب ، فقالت لإنسان : خذ حبة فأعطه إياها ، فجعل ينظر إليها ويتعجب ، فقالت عائشة : أتعجب ؟ كم تُرى في هذه الحبة من مثال ذرة " .

قال ﷺ : " من أطعم مسلماً تمرة أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقاه سقاه الله من الرحيق المختوم " .

---

( ١ ) سورة الزلزلة ، آية ٤ .

وفي رواية : " أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم " .

إفعل الخير ما استطعت وإن كا  
ن قليلاً فلن تطيق لكّله  
ومتى تفعل الكثير من الخير  
إذا كنت تاركا لأقلّه.

هذا موسم التنافس في الخير ، وموسم حصاد الأجر ، إبحث فيه عن فقراء ومساكين وضعفاء وشاركهم في مال الله الذي آتاك إياه واستخلفك فيه ، فهو في يدك أمانة تسأل عنه يوم القيامة من أين جئت به ؟ ، وفيم أنفقته ؟ ، فيأثرى هل أعددتنا الجواب ليوم السؤال ؟

إنفق ولا تخش الفقر ونقص المال ، فالله يعوضك الزيادة في المال ، ويفتح لك أبوابا للرزق ، أو يدفع عنك البلاء ، ويرفع عنك الضراء ، ألا تثق في وعد الله بهذا .!!؟

" الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١) " .

قال ﷺ : " يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السرّ والعلانية ، ترزقوا وتنصروا وتجبروا.... " .

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام ، ووفقنا للتصدق والإحسان ، والقبول والرضوان

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الخامس والعشرون

### " الدعاء "

الحمد لله أمر بالدعاء ووعد بالإجابة ، فقال : " أدعوني أستجب لكم " ،  
والصلاة والسلام على النبي الصائم القائم الراكع الساجد الذاكر الشاكر الداعي في  
السراء والضراء والصحة والبلاء ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين  
وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :  
فإن الدعاء حبل مديد ، وعروة وثقى ، وصلة ربّانية .  
والدعاء عبادة .

قال ﷺ: " الدعاء هو العبادة " .

والدعاء علامة الإيمان .

ففي الحديث الشريف : " دعاؤكم إيمانكم " .

قال الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله : أرئنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟  
فأنزل الله ﷻ : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ  
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١) " .

" إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، وإنما تدعون سميعا بصيرا ، أقرب إلى أحدكم من  
عنق راحلته " .

أمر الله ﷻ عباده بالدعاء :

قال تعالى: " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٢) " .

١ ( سورة البقرة ، آية ١٨٦ .

٢ ( سورة غافر ، آية ٦٠ .

وقال : " ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (١)".

ومن دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام لربه : " رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٢)".

ودعا نبي الله موسى عليه السلام ربه فقال : " قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٣)".

وسليمان عليه السلام : " قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٤)".

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام : " اللهمَّ رَبَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، إهديني لما اختلفَ فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " .

### الدعاء يكشف البلاء وينزل الضراء :

قال تعالى : أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ " .

وقال ﷺ : " لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك في الدعاء أحد " .

### الدعاء ينفع الأحياء والأموات.

قال تعالى : " فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم متقلبكم ومثواكم " .

١ ( سورة الأعراف ، آية ٥٦ .

٢ ( سورة الرعد ، آية ٤١ .

٣ ( سورة طه ، آية ٢٦ .

٤ ( سورة ص ، آية ٣٥ .

وفي الحديث الشريف : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له " .

## الشروط والآداب.

١. الإجتهد في تزكية النفس ظاهرا وباطنا ، وأداء الفرائض والواجبات .

قال تعالى : " إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (١) " .

وقال : " هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٢) "

وفي الحديث القدسي : " عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (( :-إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه "

٢. زوال المانع مع إجابة الدعاء ويظهر ذلك في أمور منها :  
أ. أكل الحرام .

قال سعد : يا رسول الله أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال ﷺ :  
" إن الله لا يستجيب دعاء عبد حتى يطيب طعمته " .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ثَلَيْتُ هذه الآية عند النبي ﷺ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا (٣) " .

١ ( سورة المائدة ، آية ٢٧ .

٢ ( سورة غافر ، آية ٦٥ .

٣ ( سورة البقرة ، آية ١٦٨ .

فقام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له : يا سعد أطب مطعمك تستجب دعوتك ، والذي نفسي بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به " .

وقد ذكره ﷺ : " الرجل يطيل السفر أشعث أغبر مطعمه حرام ، ومشربه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه إلى السماء ، يا رب يا رب أني يستجاب له " .

ب . ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ففي الحديث القدسي : " يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهو عن المنكر ، قبل أن تدعوني فلا أجيبكم ، وتستنصروني فلا أنصركم ، وتسألوني فلا أعطيكم " . وقال ﷺ " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم " .

٣. اختيار الوقت :

قال ﷺ : " إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد "

وقال : " لا يردّ الدعاء بين الأذان والإقامة ، قيل : ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة " .

وقال : " ثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس " .

وقال : " إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله ، وعند إقامة الصلوات المكتوبات ، وعند نزول الغيث ، فاغتنموا الدعاء فيها " .

وفي ثلاثة من الأوقات      إجابة الدعاء مع الإخبات  
عند القتال ونزول المطر      وبعد فرض الصلوات فاشكر .

سئل ﷺ : أيّ الدعاء أسمع ؟ أي أقرب إلى الله ، فقال : " جوف الليل الأخير ، ودبر الصلوات المكتوبات " .

وقال في يوم الجمعة : " لكم فيها ساعة ، من دعا فيها بخير أعطاه الله ، أو ادخر له ما هو أعظم منه ، ومن تعوذ من شرّ أعاذه الله ، أو دفع عنه ما هو أعظم منه " .

وفي السجود قال : " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء " ، والدعاء هنا يكون في صلوات النافلة ، وكل ما عدا الفريضة فهو نافلة .

٤. اختيار المكان المبارك كالمساجد ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، فإنها مشهورة بالفضل ، ولها قدسية وبركة .

٥. استقبال الداعي القبلة ورفع اليدين أو بسط الكفين ثم يمسح بهما وجهه بعد الانتهاء من الدعاء ، ثم إنه يبتدأ بثناء الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ .  
قال ﷺ : " إذا صَلَّى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصلّ على النبي ﷺ ثم ليدع بما شاء " والمقصود بالصلاة هنا الدعاء ، كقوله تعالى : " وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (١) .

٦. الإخلاص لله ﷻ في الدعاء ، إذ هو عبادة ويجب أن تكون خالصة له قال تعالى : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " (٢) .

روي أنّ موسى عليه السلام مرّ برجل يدعو الله ﷻ ، فقال موسى يا ربّ والله لو كانت حاجة هذا الرجل عندي لقضيتها " ، فقال الله ﷻ : " يا موسى أنا

١ ( سورة التوبة ، آية ١٠٣ .

٢ ( سورة البينة ، آية ٥ .

أرحم به منك ، ولكنه يدعوني وقلبه عند غيري " ، فأخبر موسى الرجل بذلك فانتبه وانقطع على الله تعالى بقلبه ، فأجاب الله جلّ وعلا دعاءه .

فاجعل قلبك أيها الداعي حاضرا محبنا خاشعا خاضعا لربّ الأرض والسموات ، موقنا بالإجابة .

قال ﷺ : " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه " .

٧. عدم استبطاء الإجابة ، فقد يؤخرها الله ﷻ لحكمة ، وقد يأتي بها من حيث لا ندري كجلب نعمة ، أو دفع نقمة .

قال ﷺ : " لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل ، قيل : يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت فلم أرَ يستجب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء " أي يملّ .

فلنغتنم هذه الفرصة المباركة في هذا الشهر الفضيل ، وندعو الله ﷻ بخيري الدنيا والاخرة ، فإننا محتاجون ، والله هو الغني ذو الرحمة ، واسع المغفرة ، الجواد الكريم الغفور الرحيم .

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس السادس والعشرون

### " صوم النفل "

الحمد لله ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فأيها الأحبة في الله ، الصيام من القربات المحبوبة جداً عند الله تعالى ، لأنَّ النفس تزكو بالصيام ، والقلب يصفو به ، وتتعلّق الروح بخالقها ، إضافة إلى ما يعود على الصائم من صحة للجسم ونشاط فيه ودفع لكثير من الأمراض ، فإذا كان رمضان أو شئك على الإنتهاء فإنَّ مواسم الخير كثيرة سائر أيام السنة ومنها:

- **صيام الست من شوال** ، ففي الحديث الذي رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه : " من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر ".  
وعن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " جعل الله الحسنة بعشر أمثالها ، فشهر بعشرة أشهر ، وستة أيام بعد الفطر تمام السنة ".  
والأفضل المبادرة في صيامها وتتابعها ، وإلاَّ فيجوز أن تكون في سائر أيام الشهر متوالية أم متفرقة .

ومن لم يكملها فليس عليه قضاء ، إلاَّ إذا أفطر نهاراً فالكثير من العلماء على القول بقضاء اليوم الذي أفطر فيه .

- **صوم الإثنين والخميس من كل أسبوع**.

لصوم النبي ﷺ هذين اليومين ، ولمّا سئل عن ذلك قال : " تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس ، فأحبّ أن يعرض عملي وأنا صائم ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : " تعرض الأعمال في كل إثنين وخميس فيغفر الله ﷻ في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً ، إلاّ امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا " .

#### - صوم أيام البيض :

فقد روى الإمام الربيع عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عنهما عن النبي ﷺ قال : " من صام في كل شهر ثلاثة أيام فكأنما صام الدهر " .  
وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام ، فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة " .

قال نور الدين السالمي رحمه الله في جوهر النظام :  
وهكذا أيضاً ثلاث البيض تذهب للغلّ وللتمريض .

وقال أبو مسلم رحمه الله في نثار الجواهر :

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| صوم الليالي البيض فضله ورد | تذهب غلّ القلب وخبياً والحسد |
| وهي ثلاث لكمال البدر       | مبدأها الثالث بعد العشر      |
| فما يلي واختم بخامس العشر  | وبعدها يبدأ نقصان القمر      |

ثم قال :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| وعن قتادة بن ملحان بنص     | عن الرسول لليالي البيض خص |
| وفيه سمّاها بكنز الدهر     | أي أنه ينمو بكل شهر       |
| ونعم هذا الكنز تلقاه غدا   | مضاعفا موقراً مخلّدا      |
| بيّض بصوم البيض قلبا مظلما | ركّبت فيه مأثما فمأثما    |

عساه أن يشرق بالعرفان      ثم تلقى الفوز بالرضوان

#### - صوم يوم عاشوراء:

وهي اليوم العاشر من محرم ، قال ﷺ فيه : " صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبلها " .

وقال : " لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع " ، أي يصومها مع اليوم العاشر.

#### - صوم يوم عرفة لغير الحاج :

لقوله ﷺ : " صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ، والسنة التي بعده " .

والحاج إذا كان الصوم يضعفه عن الوقوف بعرفة فالأفضل له الفطر ، قال أبو المؤثر رحمه الله : لا بأس بالصيام في يوم عرفة ، وفيه الفضل إلا أن يضعف عن الدعاء " .

#### - صوم أيام من شعبان :

لما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان الرسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان .

ومع فضل شعبان فقد جاء عنه ﷺ : " إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان " .

وفي رواية : " إذا كان يوم النصف من شعبان فأمسكوا عن الصوم لرمضان " .  
قال الشيخ أبو مسلم البهلائي رحمه الله في نثار الجواهر : " فالنهي نهي أدب ،  
والحديث دليل استحباب الفطر قبل رمضان ليتلقى صومه بنشاط ، تدلّ له لام  
التعليل في قوله : لرمضان ، وقد ذكر القطب رضي الله عنه في كتابه " أجور  
الشهور من فضائل الليالي والأيام " ما فيه مقنع فعليك به ، ومثل هذه الفضائل  
الخاصّة بليالٍ وأيّامٍ إنما تشرق علينا أنوارها من مطالع التوقيف النبوي ليس من قبيل  
الرأي ، فأما ما جاء في بيان الشرع من الليالي فأغلبها قد مرّ التوقيف من الشارع  
عليها في كتابي هذا ، وكذا مرّ بك التوقيف على فضل صوم تسع ذي الحجة ،  
وبالخصوص يوم عرفة وصوم عاشوراء المحرم ، وباقي الأيام التي ذكرها يجب علينا أن  
نحسن الظنّ في آثار أصحابنا رحمهم الله لأنها صحيحة أصلاً وفرعاً ، وبالخصوص  
بيان الشرع فقد محضته تحريرات العلماء حتى وصل إلينا منه المحض الخالص من  
الشوايب ، فقول المصنف رحمه الله ورضوانه عليه : إنه لم يجد لذلك أصلاً هو إخبار  
منه عن خاصّة نفسه ، ولم يقطع رحمه الله أن لا أصل لذلك ، إذ من المحتمل عدّم  
وصوله إليه ، ولا يلزم فقهاء الدين التهام السنّة بحذافيرها ، ونصّ ما قاله في الجواهر  
هكذا .

|                         |                            |
|-------------------------|----------------------------|
| وبعضهم قد استحبتّ صوما  | من أشهر تُعرفُ يوماً يوماً |
| ولم أجد أصلاً للاستحباب | سوى عموم الفضل في ذا الباب |

ومن استقرى أسفار فضائل الأوقات لم يفته حصول الأصل لخصوص هذه الأيام  
والليالي والله أعلم ( انتهى كلام الشيخ أبي مسلم رحمه الله في نثار الجواهر ) .

وهو كلام غاية في أدب الخطاب بين العلماء ، وبيان مكانتهم وفضلهم ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فيه معاني سامية ودلائل عالية في الموضوع .  
فاغتنموا الفرصة السانحة ، وتعرضوا لنفحات الله في أيام دهره ، وواصلوا الصيام ،  
تدخلوا جنة ربكم بسلام .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس السابع والعشرون

### " زكاة الفطر "

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابه والتابعين وبعد:

فإن زكاة الفطر أو فطرة الأبدان يختم بها الصائم شهر رمضان ، طهارة له مما علق بصومه من تقصير ، وإحسانا للمساكين والفقير ، وسوف يكون حديثنا عن حكمها وحكمتها وجنسها ومقدارها ووقت وجوبها .

#### ١. حكمها.

قيل : هي واجبة ، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان ، صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير على العبد والحرّ والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين " .

وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ بعث منادياً في فجاج مكة : " ألا إنّ صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ، ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، صغير أو كبير ، مُدّان من قمح أو سواه ، أو صاعٌ من طعام " .

وقيل : هي سنّة لحديث السيّدّة عائشة رضي الله عنها قالت : " سنّ رسول الله ﷺ زكاة الفطر على الحر والعبد والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، صاعاً من تمر ، أو صاعاً من زبيب أو بُرّ أو شعير ، أو من أقط " .

والأقط هو اللبن المجفّف

## ٢. حكمتها.

أ. الإحسان إلى الفقراء ، والكفّ لهم عن السؤال في يوم العيد لحديث : " اغنوهم عن السؤال في هذا اليوم " .

ب . الإتيان بخلق الكرم ، وحبّ المواساة ، ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم .

ج . تطهير للصائم مما يحصل في صيامه من نقص وتقصير ولغو وإثم .

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما : " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين ، فمن أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أدّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " .

د . إظهار شكر نعمة الله بإتمام صيام الشهر وقيامه ، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه ، قال تعالى : " وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١) " .

## ٣. جنسها.

جنس الواجب في زكاة الفطر هو طعام الآدميين من أرز أو بُرّ أو تمر وغير ذلك ، للأحاديث المتقدمة ، فلا يجزئ طعام البهائم ، ولا الثياب ولا الفرش ولا الأواني وسائر الأمتعة ، لأنّ النبي ﷺ فرضها في الطعام ، فلا تتعدّى إلى غيره . واختلف العلماء في إخراج النقود بدل الطعام هل يجزي أم لا ؟ فعلى قول المجيزين فليخرج ريالاً عمانياً ونصف ريال عماني في وقتنا هذا ، عن كل شخص صغير أو كبير .

---

( ١ ) سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

#### ٤. مقدارها.

صاع بصاع النبي ﷺ والذي يبلغ وزنه بالمشاقيل أربعمئة وثمانين مثقالاً والمثقال أربعة جرامات وربع ، وبالوزن الحالي في هذا العصر مقدار كيلوين وأربعين غراما .

#### ٥. وقت وجوبها.

غروب شمس آخر يوم من رمضان ، وقيل : " طلوع فجر يوم العيد من شوال وأما وقت فضيلة إخراجها فهو صباح يوم العيد لما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنّا نخرج في عهد النبي ﷺ يوم الفطر صاعاً من طعام .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة .

قال تعالى : " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى <sup>(١)</sup> " .

قال المفسرون : " مَنْ تَزَكَّى " أي أخرج زكاة الفطر .

" وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ " أي كبر الله في طريقه إلى مصلاه .

" فَصَلَّى " أي صلى صلاة العيد.

قال نافع : كان ابن عمر إذا صلى الغداة ، أي صلاة الفجر ، قال : يا نافع أخرجت الصدقة ؟ فإن قلت : نعم ، خرج إلى المصلى ، وإن قلت : لا ، قال : الآن أخرج ، فإنما هذه الآية في هذا ، ويعني قوله تعالى : " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى "

---

( ١ ) سورة الأعلى ، آية ١٥ .

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد إلا لعذر ، وقد سبق حديث ابن عباس ، ويجوز تقديمها بيوم أو يومين أو أكثر ويدفعها الإنسان عن نفسه ومن يعولهم في بيته من أبويه وزوجته وأولاده ، ولو كانوا صغاراً رَضَّع .  
ويعطيها فقراء المكان الذي يقيم فيه إن أمكن ، وإلا نقلها إلى موضع آخر .  
فلنحرص على هذه الفضيلة ولنبادر إلى هذه الشعيرة ، ففيها الخير الكثير والأجر الكبير ، والفضل والإحسان .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الثامن والعشرون

### " بادروا بالتوبة قبل الموت "

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وهداية للمتقين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فيا أيها الأحبة في الله : هذا موسم التوبة والإستغفار ، والطاعة والعبادة والأذكار .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (١) " .

وقال تعالى : " وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢) " .

فهذا نداء من الحق سبحانه يدعونا إلى التوبة والإنابة والرجوع إليه ، ممَّا اقترفنا من السيئات ، وارتكبنا من الخطيئات ، فإذا لبينا النداء نلنا محبة الله : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٣) " .

قال ﷺ : " لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ، إذ هوبها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح " .

---

١ ( سورة التحريم ، آية ٨ .

٢ ( سورة النور ، آية ٣١ .

٣ ( سورة البقرة ، آية ٢٢٢ .

هذا تصوير دقيق فيه تقريب للأذهان ، ورسم لصورة لا تنمحي ، بل تبقى آثارها عالقة في قلب من ألقى السمع وهو شهيد ، تبرز هذه القصة حاجة الإنسان إلى التوبة ، ومحبة الله للتائب ، فالإنسان معرض للخطأ ، إذ ليس هو معصوم ، لكن الخطأ الأكبر التماذي في الذنب والتهاون في الإقلاع عنه ، وعدم المبادرة إلى التوبة : " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١) " .

|                         |                          |
|-------------------------|--------------------------|
| وبادرن بالتوبة النصوح   | حتى احتضار وانتزاع الروح |
| لا تحتقر شيئا من المآثم | وإنما الأعمال بالخواتم   |

وفي الحديث القدسي : " يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم " ، ومهما عظم الذنب فالله عزوجل يغفره ويعفو عنه ألا تقرأ قول الحق سبحانه : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٢) " .

واسمع إلى ندائه اللطيف في قوله الشريف : " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٣) " .

وفي الحديث القدسي : " يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي " .

١ ( سورة آل عمران ، آية ١٣٥ .

٢ ( سورة النساء ، آية ٤٨ .

٣ ( سورة الزمر ، آية ٥٣ .

إن رمضان فرصة للتوبة والرجوع إلى الله تعالى ، فهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان ، وتعلق فيه أبواب النيران ، وتصقّد الشياطين ، وكلُّ ذلك لكثرة المنيبين إلى الله والعائدين إليه ، فلا يدع المسلم هذه الفرصة تفوته ، ففيها مغامم وأجور ، وجوائز معدّة لمن فاز في سيّد الشهور ، قال ﷺ : " رغم أنف من أدركه رمضان فلم يغفر له " .

إن للتوبة شروطاً لا بدّ من توافرها حتى يكون العبد التائب صادقاً عند الله وهي :

**١. الإخلاص :**

وذلك شرط في كل الأعمال ، قال تعالى : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ <sup>(١)</sup> " .

فيجب أن تكون هذه التوبة لله ، لا تشوبها شائبة ، أو يداخلها مقصد دنيوي .

**٢. الندم والحزن :**

وذلك أن يندم التائب على ما فرّط من ذنب ، وأن يحزن لما اقترّف من خطيئة .

وفي الحديث الشريف : " الندم توبة " .

**٣. الإقلاع عن المعصية فوراً .**

إذ لا يصح أن يتوب بلسانه ويبقى هو في وحل المعصية ملازماً لها ، فإذا كان كذلك فإن توبته كاذبة .

**٤. العزم على عدم العودة إلى الذنب .**

وهذا شرط مهمّ ، يقتضي أن لا يعود التائب إلى فعل المعاصي يوماً مّا ، فالإقلاع التام المصحوب بعزم قويّ على عدم العودة كما لا يعود اللبن إلى الضرع ، هذا هو الواجب الحتمي على تائب صادق ومخلص .

---

( ١ ) سورة التوبة ، آية ٣١ .

## ٥. أن تكون في زمن الإمكان .

وهذا نوعان :

أ . عام ، وذلك قبل طلوع الشمس من مغربها ، وهذا من علامات قيام الساعة الكبرى ، فحينئذ لا تنفع التوبة ، قال تعالى : " يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ " (١) .

قال ﷺ: " لا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل " والشمس أن تطلع من مغربها ينسدّ باب التوب من مطلبها .

ب . خاص ، وذلك عند حضور أجل الموت ، وهذا الوقت لا تقبل فيه التوبة أيضا قال تعالى : " وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (٢) .

وفي الحديث الشريف : " إن لله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر " يعني بروحه .

## ٦. ردّ حقوق المخلوقين :

إذا كان الذنب متعلقا بأخذ شيء من أموال الناس فلا بدّ من رده إلى أصحابه . قال ﷺ: " ردّوا الخيط والمخيط " .

هذا دليل على عدم جواز أخذ شيء من أموال الناس ولو كان شيئا يسيراً .

وقال ﷺ: " القليل من أموال الناس يورث النار " .

( ١ ) سورة الأنعام ، آية ١٥٨ .

( ٢ ) سورة النساء ، آية ٥٨ .

قالوا : ولو كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : " ولو كان قضييأ من أراك " .  
وفي رواية : أنه وضع أصبعه على التراب ، وقال : " ولو كان كهذا " .  
فلنبادر إلى التوبة قبل فوات الآوان قبل : " أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ  
فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ " .  
تقبل الله توبتنا وغفر ذنبنا وسددنا في القول والعمل .  
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس التاسع والعشرون

### " ماذا بعد رمضان "

الحمد لله المعبود في كل وقت وآن ، والصلاة والسلام على المبعوث للخلق من إنس وجان ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وبعد :  
فأيها الأحبة في الله ، هذا شهر رمضان أزف على الرحيل ، وأذن بالذهاب ولم يبق منه إلا القليل ، فطوبى لعبد شتر فيه عن ساعد الجد ، وبذل الطاقة والوسع في العبادة وصدق العهد ، ألا فليشكر المولى على توفيقه ، وليحمده على فضله وعطائه ونواله .

" وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> " ، فمن أدى الصيام والقيام وثابر على صنوف الطاعة فذلك عنوان السعادة ، وله من الله الأجر وزيادة.

ومن أضاعه وفرط فيه فليتدارك نفسه قبل الفوات ، وليصلحها قبل أن يصبح في عداد الأموات ، ويعرض على رب الأرض والسماوات : " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ <sup>(٢)</sup> " ، " لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ <sup>(٣)</sup> " .

إنَّ الإستقامة على الطاعة من أهم الأمور وأعظمها ، كيف لا ؟! ، والله يخاطب نبيه وحبيه محمد ﷺ بقوله : " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ <sup>(٤)</sup> " ، وهو القويم في أعماله ، المستقيم في سلوكه وأقواله ، من لازم الإستقامة أمن يوم القيامة ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا

١ ( سورة النحل ، آية ٥٣ .

٢ ( سورة الشعراء ، آية ١٠٥ .

٣ ( سورة الشعراء ، آية ٨٨ .

٤ ( سورة هود ، آية ١١٢ .

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(١)</sup> " ، إِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَر\_اقِبَ اللَّهَ وَحَاجَّكَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ ، وَأَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ فَالْإِلَهَ الَّذِي يَعْبُدُ فِي رَمَضَانَ ، بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَقُرْبَاتٍ هُوَ الْإِلَهَ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ.

وما أجمل الحسنة تتبعها الحسنة ، وما أقبح السيئة بعد السيئة ، فعلينا أن لا نضيع حياتنا باللهو والغفلة ، ولا نفسد ما أسلفنا في شهر الصيام من صالح العمل وحميد الفعل وجليل الطاعة ، ولا نغيّر ما عُدّبَ لنا من لذة المناجاة والإقبال على الله ، ولا نكدر ما صفا لنا فيه من الأوقات والأحوال .

ألا وإنّ من علامات القبول لزوم الحسنات ، ومن أمارات السقوط مقارفة السيئات .

قيل لبشر الحافي : إنّ قوما يتعبّدون في رمضان ويجهّدون ، فإذا انسلخ رمضان تركوا ، قال : بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان .

وقال الحسن البصري : لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت ، ثم قرأ قوله تعالى : "وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ"<sup>(٢)</sup> .

أيها الأخ المسلم والأخت المسلمة : إنّ صنوف العبادة متنوعة ، فهناك صيام النفل وقد مرّ ذكره في درس منفرد ، وقيام الليل وهو من السنن قال ﷺ : " أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا الأرحام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا جنة ربكم بسلام " .

فإذا كنّا عمرنا المساجد في رمضان بصلاة الفريضة في جماعة ، وصلاة التراويح وقراءة القرآن وملازمة الذكر والإستغفار ، فهل يليق بنا أن نهجر ذلك ؟!

١ ( سورة الأحقاف ، آية ١٣ .

٢ ( سورة الحجر ، آية ٩٩ .

ألا نتوق إلى حياة طيبة في الدنيا عامرة بالخير وجزاء في الآخرة نسعد به ونهنأ؟! .

إن الدنيا طيف خيال ، يقضي الإنسان فيها السنين تلو السنين ، وتتعاقب الأجيال بعد الأجيال، وما هي إلا لحظات محدودة وأنفاس معدودة ، الناس في الدنيا كركاب قاطرة تسير سيرا حثيثا ، وكل واحد منهم ينزل منها في محطته .

قال تعالى : " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢) " .

( ٢ ) سورة يونس ، آية ٥٧ .

واصل الطاعة ، وأدّم العبادّة ، وراقب الله في كل وقت وحين ، واعلم أنك عبد  
لله ، خلقت لأمر سام ، ولم تُترك هملاً ، واشغل لسانك بذكر الله ، واعمر قلبك  
بطاعة الله .

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الدرس الثلاثون

### " أحكام العيد "

الحمد لله جعل الأعياد في الإسلام مواسم فرح واستبشار ، وخير وبرّ وصلة وإحسان بين الناس وطاعة للواحد القهّار ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمة ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابه الأخيار ، والتابعين لهم مدى الليل والنهار وبعد :

فأيها الأحبة في الله : ونحن نختتم شهر رمضان ونودّعه نسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام وصالحات الأعمال ، وينبغي أن يهنأ بعضا البعض على التوفيق لأداء هذه الفريضة بدعاء مثل : تقبل الله طاعتكم .

فإذا غربت شمس اليوم الأخير من رمضان فلنشكر الله ولنكبره امتثالا لقول الحق سبحانه : " وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١) " ، روى ابن أبي شيبة في المصنف أن النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر ليكبر حتى يأتي المصلي وحتى يقضي الصلاة ، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير " ، وصفة التكبير:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر والله الحمد ، ويرفع الرجال به الصوت ، إعلانا بتعظيم الله وإظهارا لعبادته وشكره ، ونكبرّ ونحن ماضون في طريقنا إلى مصلى العيد .

---

( ١ ) سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

ولنعمر ليلة العيد بالصلاة والذكر فقد روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يموت قلبه يوم تموت القلوب " .

والحديث وإن كان في صحته مقال لكن تعضده روايات أخرى من طريق أبي أمامة ومعاذ بن جبل بألفاظ متقاربة ، وهو من باب الحث على الفضائل .

ومن السنة أن يأكل المسلم قبل خروجه إلى صلاة عيد الفطر لقول أنس بن مالك رضي الله عنه : " كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا " .

وعن بريدة قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ، ويوم النحر لا يأكل حتى يرجع فيأكل من نسيكته " .

واستحب العلماء في العيد الاغتسال والتجمل له ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : " كان للنبي صلى الله عليه وسلم جبة يلبسها في العيدين " ، ويسن الذهاب ماشيا إلا من عذر لقول علي أبي طالب كرم الله وجهه : من السنة أن يخرج إلى العيد ماشيا .

وللنساء الخروج إلى صلاة العيد ، قالت أم عطية رضي الله عنها : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والأضحى ، العواتق والحائض وذوات الخدور ، فأما الحائض فيعتزلن المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين ، قلت : يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب ، قال لتلبسها أختها من جلبابها " .

ولتخرج النساء بثياب محتشمة لا بزينة فاتنة أو طيب جالب .

قال صلى الله عليه وسلم : " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وليخرجن وهنّ تفلات " .

ولا صلاة نافلة قبل صلاة العيد ولا بعدها ، لما روى ابن عباس رضي الله عنهما : " أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر فصلّى ركعتين لم يصلّ قبلها ولا بعدها " ، وإذا كانت صلاة العيد في مسجد فليصل الداخل فيه ركعتين تحية المسجد لحديث : " إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس " .

والسنة في مصلى العيد أن يكون خارج الدور والعمران لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ : " كان يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى " ، واختلف العلماء في صلاة العيد هل هي سنة مؤكدة أم سنة واجبة لمواظبته ﷺ عليها من غير ترك ، أم أنها فرض على الكفاية أقوال في المذهب وغيره .

ووقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس قيد رمح إلى الزوال .  
ولا أذان ولا إقامة لها ، لما رواه ابن عباس وجابر رضي الله عنهما قالا : " لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى " .  
وروى جابر بن سمرة قال : " صليت مع رسول الله ﷺ العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة " .

وتقدم الصلاة قبل الخطبة قال ابن المنذر : ثبت عن رسول الله ﷺ أنه بدأ بالصلاة قبل الخطبة في يوم العيد ، وكذا خلفاؤه الراشدون المهديون ، وعليه عوام علماء الأمصار " .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " شهدت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة " .

وخصت صلاة العيد بالتكبير وفيه عدة وجوه ، والعمل على قول الأكثر وهو أن الإمام يكبر خمس مرات بعد تكبيرة الإحرام ، وخمسا بعد القراءة في الركعة الثانية وثلاثا بعد الركوع من الركعة الثانية ، فتلك ثلاث عشرة تكبيرة .

والسنة أن يقرأ الإمام في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة " الأعلى " ، وفي الثانية سورة " الغاشية " ، لحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما في العيد .

وإذا صادف يوم العيد في يوم الجمعة فإنها تصلى ، فهي فريضة وصلاة العيد سنة ، والسنة لا تسقط الفريضة .

وتشرع التوسعة على الأهل والعيال في أيام العيد بسطا للنفس وترويحاً لها .  
كما ينبغي الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين في هذا اليوم لقوله ﷺ : " أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم " .

والتهنئة يوم العيد مشروعة لما روي أَنَّ أصحاب النبي ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك .

وليحرص المسلم على برِّ الوالدين في سائر الأيام وفي أيام العيد أخص ، وكذلك على صلة الأرحام وزيارة الجيران ، وليصل من قطعه ، وليعط من منعه ، قال تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ <sup>(١)</sup> " .

فهذه أيام العيد أيام مباركة ، فيها الخير والأجر والسرور والبهجة قال ﷺ : " إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا معشر المسلمين إلى ربِّ كريم ، يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بصيام النهار فصمتتم وأمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلّوا

---

( ١ ) سورة الأعراف ، آية ١٩٩ .

نادى مناد : ألا إن ربكم غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم ، فهو يوم  
الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة " .

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالحات الأعمال .  
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين  
وكل عام وأنتم بخير  
عبدالله بن راشد السبائي

## الفهرس

المقدمة .....

١. الدرس الأول (استقبال رمضان) .....

٢. الدرس الثاني ( بعض أحكام الصيام ١).....
٣. الدرس الثالث (بعض أحكام الصيام ٢).....
٤. الدرس الرابع (فضائل شهر رمضان ١) .....
٥. الدرس الخامس (فضائل شهر رمضان ٢).....
٦. الدرس السادس (خصائص رمضان).....
٧. الدرس السابع (قيام الليل).....
٨. الدرس الثامن (ظاهرة الإسراف ).....
٩. الدرس التاسع ( الفطور )
١٠. الدرس العاشر ( السحور )
١١. الدرس الحادي عشر صيام الجوارح (١. صيام القلب ).....
١٢. الدرس الثاني عشر صيام الجوارح (٢. صيام اللسان ) .....
١٣. الدرس الثالث عشر (صيام الجوارح ٣. صيام البطن ).....
١٤. الدرس الرابع عشر ( صيام الجوارح ٤. صيام العين ) .....
١٥. الدرس الخامس عشر صيام الجوارح (٥. صيام الأذن ) .....
١٦. الدرس السادس عشر (مع القرآن الكريم ١ ) .....
١٧. الدرس السابع عشر (مع القرآن الكريم ٢ ) .....
١٨. الدرس الثامن عشر (عزوة بدر الكبرى) .....
١٩. الدرس التاسع عشر (الإعتكاف ) .....
٢٠. الدرس العشرون (العشر الأواخر من رمضان).....
٢١. الدرس الواحد والعشرون (ليلة القدر ) .....
٢٢. الدرس الثاني والعشرون (فريضة الزكاة) .....
٢٣. الدرس الثالث والعشرون (فتح مكة).....

٢٤. الدرس الرابع والعشرون (شهر الجود والعطاء والإحسان) .....
٢٥. الدرس الخامس والعشرون (الدعاء) .....
٢٦. الدرس السادس والعشرون (صيام النفل) .....
٢٧. الدرس السابع والعشرون (زكاة الفطر) .....
٢٨. الدرس الثامن والعشرون (بادروا بالتوبة قبل الموت) .....
٢٩. الدرس التاسع والعشرون (ماذا بعد رمضان)..... ١
٣٠. الدرس الثلاثون (أحكام العيد) .....